2010

طيف

تصدر عن مركز موارد أدب الأطفال
العددان الخامس عشر والسادس عشر

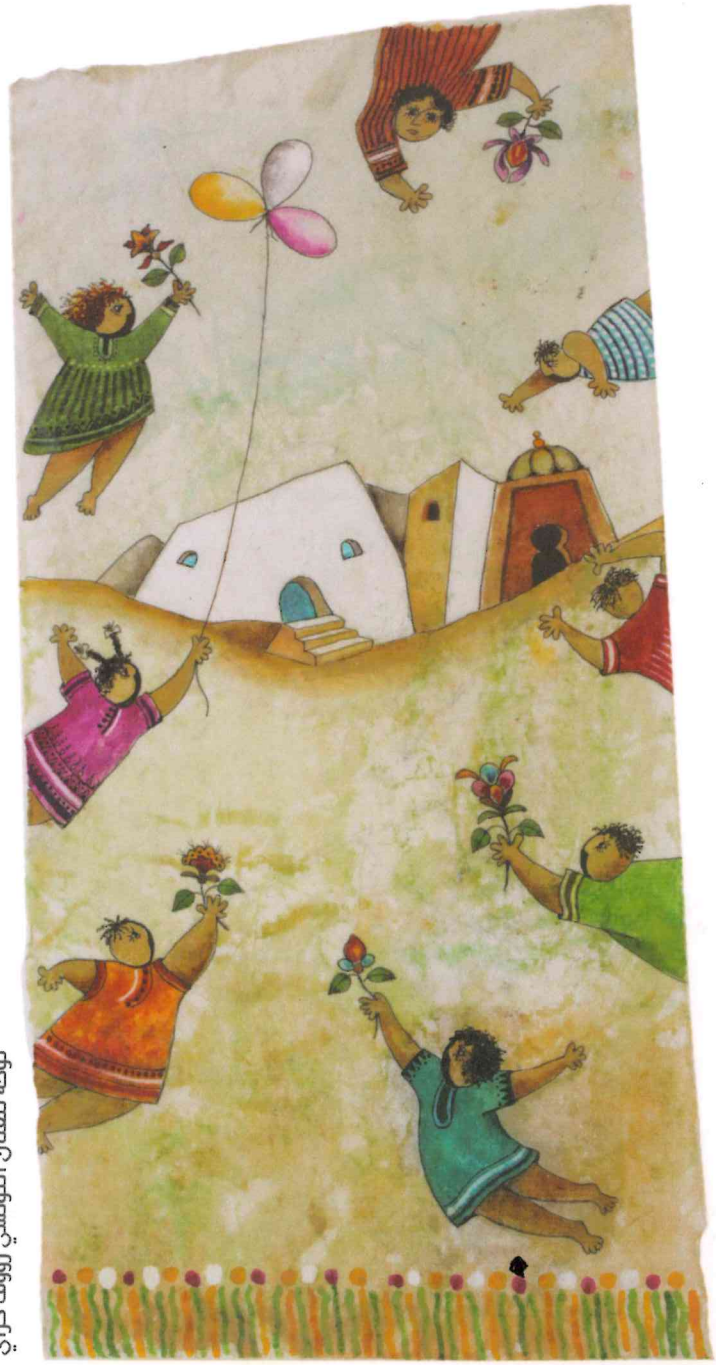

لوحة للفنان التونسي رؤوف كراي

- "فراشة" أحلام بشارات
  تُضيء هواجسَ جيلٍ
  بالأسئلة وعيدان الثقاب

- الطفل البطل
  والمنتصر في رواية
  قطعة صغيرة من الأرض

- صورة الفلسطينيين في
  أدب الفتيان المكتوب
  بالإنجليزية

- جديد الإصدارات

طيف العددان
(15 + 16)

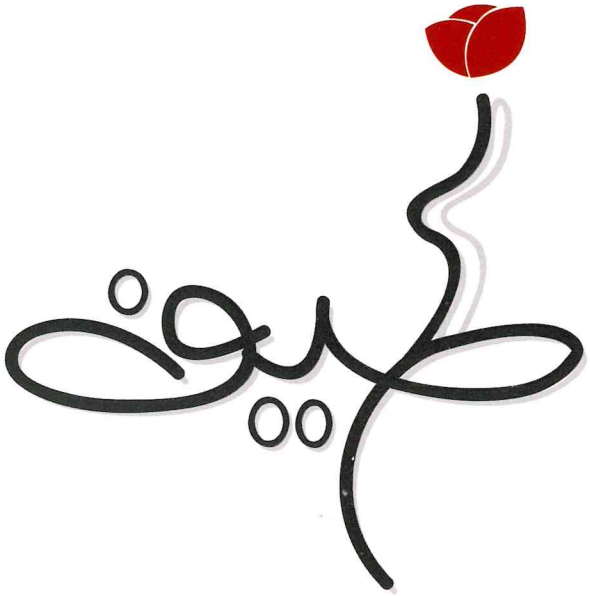

نشرة نصف سنوية تصدر عن مركز موارد أدب الأطفال

رام الله – فلسطين

2010

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي
Tamer Institute For Community Education

الناشر – مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

ص.ب 1973، رام الله – فلسطين

هاتف: 022986121/2

فاكس: 022988161

البريد الإلكتروني: tamer@palnet.com

الموقع الالكتروني: www.tamerinst.org

Tamer Institute for Community Education

P.O.Box 1973, Ramallah – Palestine

Tel: 02 2986121/2

Fax: 02 2988161

E-mail: tamer@palnet.com

Website: www.tamerinst.org

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز طباعة أو نسخ أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

التصميم والإخراج الفني

مرايا للتصميم والطباعة

في هذا العدد

المقدمة 5

"اسمي الحركي فراشة" مفرزات وتداعيات 7

- مقابلة مع الكاتبة أحلام بشارات 9
- "فراشة" أحلام بشارات تُضيء هواجسَ جيلٍ بالأسئلة وعيدان الثقاب/ أنس أبو رحمة 13
- "اسمي الحركي فراشة" ممنوع في طوباس: "فراشة" أحلام واجتهادات "التربية والتعليم"/ نائلة خليل 16
- حكاية كتاب/ مهند عبد الحميد 18
- قراءة في رواية "اسمي الحركي فراشة"/ فتحي أبو مويس 20

ملف خاص حول رواية "قطعة صغيرة من الأرض"

- تجربة الكتابة المشتركة/ سونيا نمر 22
- قراءة في رواية "قطعة صغيرة من الأرض"/ فتحي أبو مويس 24
- الطفل البطل والمنتصر في رواية قطعة صغيرة من الأرض/ أحمد حنيطي 27

تجارب وإنجازات

- تجارب روائية شابة من غزة 30
- تجربة "أيام مكتبية" 37

ترجمات في أدب الاطفال

- لو أني كنت آن 41
- صورة الفلسطينيين في أدب الفتيان 47

صدر حديثاً عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي 52

مجلة طيف فضاء للحرية والاختلاف، والأفكار الواردة فيها تعبر عن وجهة نظر وآراء أصحابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

المقدمة

ضمن برنامج نقاش قصص وروايات الأطفال واليافعين الذي ترعاه مؤسسة تامر منذ حوالي العام في شبكة مكتبات أدب الأطفال العديدة المنتشرة في محافظات الوطن، وفي مركز موارد أدب الأطفال في المؤسسة، كان للعديد من الكتب نصيب وافر ومساحة واسعة من القراءة والنقد من قبل القراء اليافعين والمكتبيين والمعلمين والمهتمين، الذين عكسوا وجهات نظرهم في كتابات اخترنا نشر بعضها في ملفات هذا العدد.

ومن هنا تخصص طيف في عددها هذا محاور لنقاش ونقد بعض روايات اليافعين الصادرة عن مؤسسة تامر مثل «اسمي الحركة فراشة» و«قطعة صغيرة من الأرض»، وذلك لأن كلّاً من الكتابين أثارا جدلاً من نوع خاص عند إطلاقه.

لا شك بأن جميع القصص والروايات التي تتم مناقشتها في كنف مكتبات أدب الاطفال وفي مركز الموارد تثير اهتمام المشاركين الصغار والكبار من حيث مضمونها وأسلوبها الأدبي، وحتى من حيث إخراجها الفني وصناعتها. لكن عندما تحمل رواية ما مضامين اجتماعية أو سياسية بعينها يكون الحوار أكثر حرارة وتتباين وجهات النظر، لتعكس من جديد جدلية وعلاقة الأدب بالواقع المعاش وبالتفاعلات والإفرازات الفكرية والحضارية التي يمكن للأدب أن يطرحها بين أيدي القراء، وهذا ما جعل الحوارات التي رافقت كل من «اسمي الحركة فراشة» و«قطعة صغيرة من الأرض» أكثر سخونة من غيرها.

في محور آخر تسلط طيف الضوء على تجارب أدباء فلسطينيين يتركون بصمات مميزة في مسيرة أدب الأطفال، وقد جاء هذا المحور أيضاً كواحد من مخرجات النشاطات الثقافية التي تجري في مكتبات الأطفال وفي مركز الموارد، حيث تعمل مؤسسة تامر من حين لآخر على تنظيم لقاءات بين القراء اليافعين والصغار وبين الكتاب المفضلين لديهم. السؤال الذي يتكرر طرحه من قبل الأطفال على كاتبهم المفضل هو: «كيف بدأت الكتابة؟ ومتى وكيف عرفت أنك ستصبح كاتبا؟» من هنا جاءت فكرة المحور الخاص بتجارب الكتّاب الذي تضمّن أيضاً تجارب لثلاث كاتبات شابات من قطاع غزة يتحدثن فيها عن تجربتهن الإبداعية الأولى التي تم نشرها من قبل المؤسسة هذا العام.

نقاش الأعمال الأدبية في مدارسنا الفلسطينية كان أيضاً محور اهتمام الأستاذة الجامعية ماري ماكدونالد ريسانين التي أمضت بعض الوقت في ضيافة وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، والتي زارت بعض الصفوف المدرسية وتابعت باهتمام النقاشات التي يجريها طلبة وطالبات صفوف السابع والثامن للرواية السويدية «آن في المرتفعات الخضراء». ورقة الأستاذة ماري تشير بوضوح إلى الأثر العظيم الذي يمكن للأدب الجيد أن يتركه لدى الأطفال، حتى لو كان هذا الأدب قادم من الطرف الآخر من العالم، فالأطفال الفلسطينيون، حسب مشاهدات الباحثة، استطاعوا التماهي بيسر ومتعة مع شخصية آن عندما أعادوا صياغة القصة وجعلوا

بطلتها آن الفلسطينية – كل حسب رؤيته/ رؤيتها.

وأخيراً نأتي إلى السؤال الذي يدور في ذهن كل فلسطيني مهتم بالأدب أو بالسياسة أو بالإعلام وهو: هل الأدب منصف في تعامله مع قضيتنا؟ وهل يعكس الصورة التي نرغب بأن يرانا بها الآخرون؟ وهنا يمكن القول أنه على الرغم من أن هذا الموضوع قد أشبع بحثاً ونقاشاً على مدى العقود الماضية من قبل الباحثين والإعلاميين- عندما يتعلق الأمر بالأدب بشكل عام – إلا أن الدراسات والأبحاث لم تركز اهتماماً خاصاً على الكيفية التي يتعامل بها أدب الأطفال العالمي مع صورة الفلسطيني وقضيته. ومن هنا جاءت دراسة الباحثة البريطانية إلسا مارستون لتملأ فراغاً في هذا الجانب ولتلقي بعضاً من الضوء على «صورة الفلسطيني في أدب الأطفال العالمي». نتائج ومؤشرات الدراسة ليست مبهجة، وتؤكد من جديد بأن أدب الأطفال العالمي ليس بعيداً في توجهاته الخاصة بالقضية الفلسطينية عن الأدب بشكل عام وعن الفيلم الدرامي والمقالة والبحث والكتاب الجامعي وغيرها من فنون الثقافة.

تتناول إلسا مارستون 53 عملاً أدبياً للأطفال مكتوباً باللغة الإنجليزية، بدءاً من خمسينات القرن الماضي وحتى اليوم، لتقرأ فيها الإيحاءات السياسية والاجتماعية التي كان معظمها معادياً ومهيناً للفلسطينيين – فيما حاول بعضها مؤخراً أن يبدو أكثر موضوعية وتوازناً في الصورة التي يقدم الفلسطيني بها للأطفال في الغرب.

«اسمي الحركي فراشة» مغزيات وتداعيات

كثيراً ما يحدث أن تثار ضجة حول رواية أو عمل أدبي، لأسباب تختلف باختلاف مضمون العمل وباختلاف المكان والبيئة التي يظهر فيها والرسائل التي يتضمنها، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية. وكثيراً أيضاً ما يصل الأمر إلى أن يمنع الكتاب من الدخول إلى بلد معين أو إلى أن يسحب من الأسواق أو غيرها من التداعيات التي تطال الكاتب أو الكاتبة ودار النشر. ولكن الملفت أيضاً أن أية ضجة أو خلاف أو منع حدث يوماً حول أي عمل أدبي كانت نتيجته انتشاراً سريعاً ومذهلاً لهذا العمل، فكل ما تثار حوله الأسئلة سيثير الفضول، وكل ما يمنع سيجد ألف طريقة للوصول إلى أيدي القراء. والأغرب هو أنه لولا الزوابع

غلاف وراية «اسمي الحركي فراشة»

التي ثارت حول العديد من الأعمال الأدبية في العالم العربي والعالم، لما نالت الصدى الذي نالته ولما وصلت إلى حيث وصلت، ولما عرف كتابها كمبدعين في بلاد غير بلادهم أو محيطها على الأقل.

أمرٌ شبيه حصل مع رواية «اسمي الحركي فراشة» للكاتبة الفلسطينية الشابة أحلام بشارات، والتي نشرتها مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي كرواية للفتيان والفتيات، لما تحويه من جمال أدبي ولغة فتية وقضايا تهم الفتيات الفلسطينيات اللواتي يعشن في واقع فلسطيني سياسي واجتماعي قد يوصف بالتعقيد في كثير من الأحيان. وكانت المفاجأة عندما تم سحب هذه الرواية من مدارس مديرية طوباس على الرغم من وجود اتفاقية بين مؤسسة تامر ووزارة التربية والتعليم تم بموجبها إدخالها إلى المدارس، بحجة احتوائها عل ألفاظ لا يجوز أن تطلع عليها الفتيات.

النتيجة كانت على عكس ما أراد من تصدروا عملية سحب الكتاب، إذ شهدت تامر خلال الأشهر القليلة الماضية، إقبالاً غير مسبوق على الرواية، كما أن عشرات جلسات نقاش الكتب التي تديرها مؤسسة تامر في المناطق المختلفة تم تخصيصها لمناقشة هذه الرواية، واستضيفت الكاتبة في العديد منها في المدارس والمكتبات العامة، وكتب عنها في الصحف المحلية كما لم يكتب عن رواية محلية للفتيان قبل ذلك.

وانطلاقاً من أهمية هذا الكتاب بالدرجة الأولى وللجماليات التي يتضمنها، وكذلك للتداعيات التي جرت إثر نشره ومن ثم سحبه من مكتبات بعض المدارس، رأينا أنه من الضروري تخصيص ملف حوله يتضمن بعض ما كتب عنه من قبل أهل الأدب والصحافة، بدأناه بمقابلة مع الكاتبة.

الكاتبة الفلسطينية أحلام بشارات من مواليد مدينة جنين عام 1975 وتقيم حالياً في قرية طمون. حصلت على شهادتي البكالوريوس والماجستير في الأدب العربي. بدأت رحلتها الأدبية ككاتبة للقصة القصيرة وحصلت في هذا المجال على العديد من الجوائز، منها جائزة الاستحقاق عن دار نعمان الثقافية في لبنان عام 2007، وجائزة مجلة العربي الكويتية عام 2008، وجائزة وزارة الثقافة الفلسطينية عام 2002. اتجهت لاحقاً إلى الكتابة للأطفال والفتيان وحصلت كذلك على مجموعة من الجوائز في هذا المجال، منها جائزة العودة لأدب الأطفال من مركز بديل لحقوق اللاجئين والمواطنة، وجائزة «العلم.. قصة» من دار الحدائق في بيروت وغيرها. صدر لها العديد من المنشورات نذكر منها: مجموعة قصصية بعنوان «تأبينات زرقاء»، رسائل أدبية بعنوان «إذا كانت تراودني فهي مجرد أفكار» بالشراكة مع القاصة المغربية فاطمة الزهراء الرغيوي، ومجموعة قصصية بعنوان «لأني أحبك».

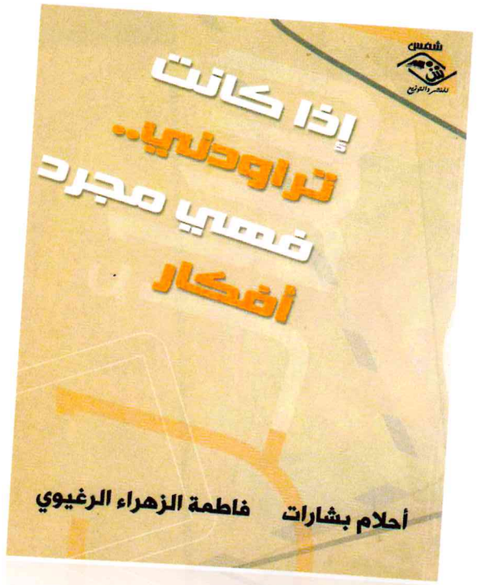

في تجربة الكاتبة أحلام بشارات والمغربية فاطمة الزهراء

قصص للأطفال: «شباك الزينكو»، «ناني توصل الكعك»، «الولد يفتش عن اسمه»، ورواية لليافعين بعنوان «اسمي الحركي فراشة».

مقابلة مع الكاتبة أحلام بشارات

أحلام بشارات، الكاتبة والقاصة الفلسطينية، كيف كان انتقالك إلى الكتابة في أدب الأطفال؟ وما هي البداية؟

قبل أيام التقيت فوفو في الطريق صباحاً، كانت تربط قرنين جميلين وتحمل في يدها ورقة. ظننت في البداية أنّها كتبت سؤالاً في الورقة ستسأله لرفاقها في الروضة مثلما يفعل أخوها مجد، فمجد كل يوم يكتب سؤالاً على ورقة ويسأله لرفاقه في الطابور الصباحي، ومجد بالمناسبة في الصف الثاني، وآخر سؤال كتبه في الورقة المطوية بعناية: «من هو عميد الأسرى الفلسطينيين؟»

لم تكن ورقة فوفو تحمل سؤالاً إذاً، بل تقول الورقة التي أعطتني إياها بكل ثقة وكأنه قد كُتِبَ فيها «فوفو أميرة الروضة»: «هناك واحدة تضرب فوفو كل يوم، وفوفو تبكي كل صباح وتقول لا أريد أن أذهب إلى الروضة».

سألت فوفو من باب الفضول: «من هي يا فوفو؟»

ردت فوفو بفخر: «بتول».

هكذا تورطت في تلك الورطة المغرية، عندما صرت أتحدث مع فوفو كل صباح أحاديث من هذا النوع..

حصلت مجموعة من كتاباتك في أدب الأطفال على جوائز محلية وعربية، حدثينا عنها.

«قصة الولد يفتش عن اسمه» حصلت على المركز الثاني لجائزة البديل للعام 2007، وقصة «شباك الزينكو» حصلت على المركز الأول للجائزة ذاتها للعام 2008. وهما مسابقتان ضمتا الفلسطينيين في الوطن والشتات.

قصة «صفوان لم يعد سلحفاة» حصلت على الجائزة الثالثة في مسابقة «العلم..قصة» التي نظمتها دار الحدائق في بيروت للعام 2009، وهي مسابقة عربية أقيمت ضمن فعاليات بيروت عاصمة للثقافة العربية.

أدب الفتيان وتحدياته مغامرة كبرى في اعتقادي، خصوصاً في مجتمع فلسطيني لم يؤمن بعد بهذه الفئة ولم يوليها حتى الآن الاهتمام اللازم أدبياً واجتماعياً، كيف ولدت روايتك الأولى «اسمي الحركي فراشة» في واقع مشابه؟

عالم الفتيان والأطفال عالم غامر، متخم بالأسئلة والحركة والمغامرة، وطبيعة التربية في مجتمعنا الفلسطيني والعربي ككل جعلت هذا العالم مغموراً داخل صدفة، لذا بالفعل إن اختراق تلك الصدفة ليس سهلاً، سيما وأن هناك حماة لتلك الصدفة يتخذون من التربية والوصاية والتشبث بالدين والقيم وتقاليد المجتمع ذرائع كي يمنعوا أي يد تمتد لتلمسها مجرد لمس. نحتاج لتحول في التعاطي مع المفاهيم السابقة كي نقترب أدبياً واجتماعياً لمخاطبة اللؤلؤة المخبوءة هناك دون أن نُتَّهم بأن غرضنا هو الإساءة إليها أو تشويهها، وربما سرقتها لأغراض شخصية.

لم تكن ولادة الفراشة سهلة في مثل هذا الواقع، وقد وعيت تلك الصعوبة أثناء ولادتها التي كانت شبيهة بمخاض، خلاله كان جناحا الفراشة يرتطمان بالجدران ويصدران صوتاً صاخباً. كانا ضعيفين في البداية ثم صارا صلبين. لقد راقبت ذلك التحول وصنعته، لأني أغرمت بالفعل بذلك الكائن المختبئ هناك .

برأيك ما هو السبب الحقيقي وراء سحب روايتك «اسمي الحركي فراشة» من بعض المكتبات المدرسية، على الرغم من موافقة وزارة التربية والتعليم على دخول الكتاب إلى المدارس، ووجود اتفاقية مع الناشر «مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي» تضمن وصول الرواية إلى المدارس؟

كنت أنتظر أن يحصل ما حصل وأتوقّعه، لذا لم أتفاجأ، فالكتابة كما يقول جان بول سارتر شكل من أشكال الحرية، والمجتمع لن يرضى بسهولة أن يراك تتحرر أمامه، بل سيفقد صوابه وأنت تمضي لتتعلّم من

يعتبرهم يخضعون لسلطته أنّ لهم حرية في طرح أسئلتهم مثلاً، رغم أن تلك الأسئلة يرددونها على مسامع بعضهم البعض وعلى مسمع منه. من الطبيعي أن يكون لمن اتخذ ذلك الموقف ردة فعله العنيفة، فهو يمارس وجوده كسلطة وظيفتها وضع الحدود التي يشاء ضمن رؤيته، ومن حق الكاتب الذي وجوده ودوره يتلخصان في حريته أن لا يتفق معه، ذلك العراك طبيعي وغير مستهجن. المستهجن بالفعل أن أكف مثلاً عن إيماني بحقي في التنفس بحرية، ومنح تلك الحرية للفتيان والفتيات الذين أكتب لهم كي أتقاسم معهم مساحات الحرية في اللعب والمغامرة والوطن، كيف يستعيد أولئك الفتيان إحساسهم بأحقيتهم بأرضهم المحتلة وحريتهم تقف عند حدود الممنوع والعيب والحرام؟

لقد صاحبتُ فراشة حرة صارت صديقة لفتيان وفتيات أحراراً، هم شباب الغد الذين لن يرضوا بما نرضى به الآن من احتلال للأرض والأحلام. سأكتب لهم بإصرار، وأنتظرهم بصبر، كي يكبروا ويطيروا في سماء فلسطين التي حرمنا منها جميعاً في مراحلنا العمرية المختلفة.

كيف تقيمين رد الفعل العام الذي ترتب على سحب الرواية من المدارس؟ وكيف أثرت هذه البلبلة التي حدثت عليك ككاتبة، وعلى روايتك كإصدار جديد في أدب الفتيان؟

في بلد مثل فلسطين يعيش وضعاً خاصاً، تتداخل فيه المعطيات السياسية بالثقافية بالاجتماعية بالدينية، تصبح ردود الأفعال ضبابية وحذرة، ومن ثم تتحول قضية عامة ما إلى قضية شخصية رغم كونها قضية ثقافية في تعريفها الأول، توجب اتخاذ مواقف واضحة من قبل المؤسسات الثقافية الرسمية والخاصة، وحتى على مستوى الأفراد والجماعات. هذا ما حصل بالضبط مع حادثة سحب رواية الفراشة، ما جعل الأمر يتحول بصورة ما إلى قضية تعني أحلام بشارات ككاتبة لها توجهها ورسالتها، وكامرأة تعيش في مجتمع محافظ، وكإنسانة تتبنى أفكاراً خاصة، وكمعلمة تعمل في المؤسسة التي قامت بسحب روايتها حتى من المدرسة التي تعمل فيها، ولم تكن تلك المهمة بلعب تلك الأدوار ضمن تعريفات معينة بالأمر السهل مع المحافظة على صورة مهذبة تليق بمجتمع ليس هدفي خلق عراك معه، بل أنوي فتح باب للحوار معه، هذا جعل العبء مضاعفاً عليّ، لكنه، وعلي الاعتراف، كان عبئاً لذيذاً شعرت معه بالمعاني الحقيقية لمفردات ترددت طويلاً على أنها عادية.

بعد ذلك صار قرّاء الفراشة أكثر، ومحبوها وأنصار فكرتها الوطنية التحررية في الأساس أكثر وعياً وإيماناً بما أردت قوله، لقد صار لها أنصار، وأنا ازددت حماساً لمهمتي ومسؤوليتي ككاتبة في مجال أدب اليافعين غير المطروق بغير الطرق التقليدية في الخطاب، سواء على مستوى محلي أم عربي. وسأكتفي بفرح عادي وقشعريرة تجيء من تعليق قد يقرأ على أنه بسيط من قارئ إضافي كسبته بسبب تلك الضجة: «قبل أن أقرأ اسمي الحركي فراشة كنت أفكر كثيراً بالهجرة وترك هذه البلد، بعد أن قرأتها أحببت الوطن أكثر، وصارت فكرة الرحيل فكرة بعيدة ومستحيلة».

كيف أثرت فيك البيئة المحلية التي تعيشين فيها؟ وكيف كان تفاعل أهل قريتك طمون في قضاء جنين وفي المناطق القريبة مع روايتك، ومعك ككاتبة طوال مسيرتك، وتحديداً بعد التداعيات المتعلقة بروايتك «اسمي الحركي فراشة»؟

لا أعرف إن كان علينا أن نأسف جميعاً حين نعترف بحقيقة أن الجمال يولد من المأساة، وأن الحرية يسرّع في ولادتها الكبت والحرمان، صرت مؤخّراً أحلم بالجمال الحقيقي بعيداً عن آلام تجيء من الاحتلال والعراك مع المجتمع وتقاليده والاصطدام بالتابوهات، الأخير جمال أستطيع أن أتذوقه مثل بوظة بالحليب دون شوكلاتة، لكن الأول فيه نسبة الشوكلاتة عالية جداً لا تعرفين معها إن كانت اللذة تجيء من المرارة أم من الحلاوة. هنا تحديداً تربيت على حد شعرة الشوكلاتة المرة الحلوة. حين تكونين في حالة مشابهة سيغبطك المحيطون لأنك الوحيدة التي

تتقن التسلق على حبل مكوّن من شعرة، سينبهرون بك، سيقاطعونك، سينوون الكلام معك، سيخافون، بعضهم سيتمنى لك السقوط، بعضهم سيعجبه المشهد الذي لن يراه غير مشهد سركيّ غرضه الاستعراض، وأنت في العمق يكون حلمك أن تفتحي حواراً حقيقياً معهم، وهذا ما أنويه في الحقيقة: أن أصنع حبلاً، وأرقص عليه:

«ما رأيك بفتاة ترقص على حبل في بلدة صغيرة!»

أحب أن أحلم بالفعل، وبيئتي التي تربيت فيها كفلاحة صغيرة كبرت ومازالت كذلك، تشهد بذلك صلابتها وصدقها، هي من تقف وراء وجودي ومحبتي للرقص، الريف مغرّ جداً: فيه الألوان والهواء والأصوات والسماء، فيه الوجوه المألوفة، فيه الثرثرات العادية. وهي مكونات أحبها فأحب هذا المكان ولا أنوي مفارقته لأنه تعريفي الحقيقي، وساكنوه يحبّون فراشتي، لكن الخوف يسلبهم صوتهم، والخوف مخلوق غير سهل، لذا أتفهّم موقفهم لأني كنت مثلهم، والآن أنا أتحرك باتجاه التحرر منه، لأنه مخلوق وهمي وبشع، ولن أجلعه يقف في طريق حركتي نحو الجمال والحرية بطعم الحليب، لأنّ المرارة لم تعد تروقني أبداً.

لماذا اختارت البطلة في روايتك أن تحتفظ بأسئلتها في محفظة ولم تشارك بها أحداً؟ هل لهذا علاقة ربما بعدم الثقة بالآخرين في هذه المرحلة العمرية؟ أم له علاقة بأسئلة الفتيات تحديداً في هذه المرحلة والتي إما قد لا تجد الإجابة المناسبة، أم أن أسئلة هذه الفتاة قد لا تلقى القبول أصلاً في مجتمع فلسطيني يحاصر الفتيات؟

بطلة الفراشة فتاة ذكية ومغامرة، وقد خبأت تلك الأسئلة لأنها ظنت بطريقة ما أنها عالمها، سيما وهي لا تجد إجابات مقنعة ولا مجيبين حاضرين، أرادت الفراشة أن تحتمي خلف اكتشاف الأسئلة على اعتبار أن مهمة اكتشاف السؤال أخطر وأكثر إلهاماً من فعل الإجابة عليه، فالإجابة تصنع حداً، بينما السؤال يفتح أفقاً للتوقّع. وفي هذا العمر تحديداً تكون مساحة التوقّع هي المكان الحقيقي لأنها مساحة الأحلام والأماني التي نتمنى نحن الكبار استعادتها ونفشل، فنرجع للبحث عن الطفل فينا كي يساعدنا في تلك المهمة.

إضافة لهذا الوعي، لا ننسى أن تلك الأسئلة اتسعت دائرتها لتضم أسئلة الأب الذي طرد من المستعمرة حيث يعمل في خدمة يوفال وكابي، فتساءل بحرقة إن كان الاثنان قد نسيا وفاءه وجديته في عمله، وسؤال الجد الذي عذبته فُرقة الفلسطينيين بين فتح وحماس فتساءل عن سبب تركنا لعدونا الحقيقي وملاحقة بعضنا بعضاً، وانضم للأسئلة سؤال سالم الصغير عن مكان والده الشهيد، وغيرها من الأسئلة التي هي أسئلة واقعنا الفلسطيني التي حفظها التاريخ بصورة الجد وورثها الابن بتغير موقعه وموقفه من محارب في صورة والده في حرب الـ67 عطبت ساقه، إلى عامل في مستعمرة لدى المحتل عطبت ساقه أيضاً، مع وجود الفارق الحقيقي ببعده الرمزي بين خسارتين، وتوريث ذلك السؤال إلى سالم الصغير بوعيه الطفولي. إنه ميراث الأسئلة المتراكمة التي عجز الواقع السياسي حتى الآن عن الإجابة عليها، ما يجعل الرواية تنتفتح على مسؤولية وطنية للتحذير من عبء تراكم الأسئلة التي تخرجنا من جمالية الحلم إلى ضجر وبشاعة الوهم، ويزيد من ثقل مهمة الفراشة في كونها صاحبة فكرة توعوية على المستوى التربوي والاجتماعي والنفسي والوطني.

في روايتك حديث عن علاقة الفتاة البطلة بوالدها الذي يعمل في مستوطنة، وهذه العلاقة كانت لها أسئلتها الخاصة بها لدى بطلتنا، وهي حالة تثير تساؤلات عديدة في مجتمعنا الذي يرفض هذه المستوطنات ويعتبر وجودها غير شرعي، ما هو برأيك دور هذه الرواية الموجهة للفتيان في توضيح أو تبرير العلاقة الشائكة بين رفض المستوطنات والعمل فيها؟ وهل كان استحضار هذه الشخصية متعمداً للوصول في النهاية إلى نتيجة معينة؟

أتشارك مع الفراشة هذا السؤال الذي قد يبدو ساذجاً:

«كيف سنتحرر من الاحتلال وهو يكبلنا بقيود التبعية الاقتصادية؟»

الاحتلال يسرق منا كل يوم شبراً وأمنية، وأكثر ما أخشاه أن يسرق منا رغبتنا في التحرر منه. وهذا ما يحصل بالفعل حالياً، إنه ينسينا ما نريد، ويحولنا إلى أحياء بواقع جديد غير مغضوب عليه. أنا ككاتبة لديّ مسؤولية أن أفضح خديعتنا الجماعية الذاهبين في طريقها مثل خاروف ماض إلى ذبحه وكأنه ذاهب في نزهة غير جميلة. لقد رفعنا شعارات كثيرة: لا للبضائع الإسرائيلية، لا للعمل عند الاحتلال، لا لتهويد القدس، ولا ولا ولا. نكرر اللاءات والأمور تمشي وكأننا حفظنا اللاءات عن ظهر قلب إلى حد أن القلب لم **يعد يفهم ما الذي يردده اللسان،** «وما الذي فعلته أنت» قد تسألين، هل هي محاولة لإضافة (لا) جديدة؟

سأجيب بـ(لا) من نوع آخر، فما أردته هو استعادة الطريق الواصلة بين اللسان والقلب، أريد تحرير تلك المساحة، مساحة القلب، أريد أن أسترد تلك الرغبة في التحرر وأهبها للجيل القادم الذي أصرّ أن أراهن عليه، وإن كنت لا أريد أن أبذل جهداً في توقع ما سيفعل، بل أن أنتظر ما سيفعل، لأنه سيصنع الدهشة التي خسرها الجد والابن ولا أريد أن يخسرها الحفيد، لأنه لو حصل سنكون قد انتهينا، وانتهى ما أراد الآخرون صنعه من حكاية سيسمونها فلسطين المنسية، والتي أصر أن تظلّ فلسطين الباقية. ولهذا أكتب للصغار وسأستمر: «حتى تبقى فلسطين».

حفل توقيع «اسمي الحركي فراشة» في وزارة الثقافة في طوباس.

«فراشة» أحلام بشارات تُضيء هواجسَ جيلٍ بالأسئلة وعيدان الثقاب

نقلاً عن جريدة الأيام

أنس أبو رحمة

الفتاة التي اسمها الحركي فراشة تسألُ أسئلة كثيرة وتخبئها في المِحفظة، وبجانب الأسئلة أيضاً تُخبئ أحلامها، وفي نهاية الرواية، في حلم صغير تطير الفتاةُ فراشة فوق المستوطنة القريبة من بلدتها، وتفتح ثوبها بالقرب من قلبها وتنثر الأسئلة والأحلام، فتنزل كعيدان الثقاب، لماذا عيدان الثقاب؟

«اسألوا الفتاة ذاتها، أو خبئوا سؤالاتكم في محفظة».

حينما سألها الصغير، سالم، أين تخبئين محفظتك التي تخبّئين فيها أسئلتك وأحلامك، أجابته الفتاة بأنها موجودة تحت البلاط، لكن البلاط الذي تكلمت عنه الفتاة كان غير موجود.

«لقد كان القلب هو المحفظة، والأسئلة والأحلام كانت هناك».

الفتاة التي بلا اسم، أو صاحبة الاسم الحركي، كونها من فلسطين: وطن تلتبس فيه الأسماء الحركية بالأسماء الحقيقية، حيث الأول للوطن والثاني للحياة، أو الثاني للوطن والأول للوطن. أو ما الوطن والحياة غير اسمين حركيين تختلف فيهما الصورة ويتشابه القلب.

الفتاة يشتغل والدها في المستعمرة القريبة التي بنيت على أراضي قريته، يعمل في زراعة العنب والنخيل عند «كابي» و«يوفال». وابنته تذهب إلى المدرسة وتحفظ للامتحان، امتحان المعلمة، وامتحان الذاكرة، أو امتحان الوطن الذي يسأل أبناءه دائماً عما يفعلون في غيبوبته المؤقته أو ما يشبه الحضور الفاحش، تحفظ تواريخ المجازر التي ارتكبها أصحاب المستعمرة ضد أبناء شعبها. وفي حمى تشابك الأفعال وتضادها تقرر الفتاة أن تسأل والدها كيف يصير ذلك، كيف يعمل عند أعدائه، ويرسل ابنته للمدرسة كي لا تنسى مجازرهم، لكنها تصل إلى تخبئة سؤالها في المحفظة.

هيا وميس، صديقات الفتاة التي بلا اسم، تذكرانها دائماً بأن والدها يعمل في المستعمرة عند المحتلين في حين هم يقتلون أبناء شعبنا، والفتاة التي بلا اسم ترفض أن تأكل حبات الحلوى التي جلبها والدها معه من المستعمرة بعد أن أعطتها له زوجة كابي.

«تخبر أباها بأن بطنها يؤلمها».

تتوالى الأسئلة على مدى الرواية، وتتسع المحفظة كلما ازدات الأسئلة، إنه القلب يتمدد بالحرارة حتى يتسع الوطن «السؤال الأكبر» الذي تخرج في ظله أسئلة

كبرى عن الحب والجنس والموت والعرس.

الأسئلة الأولى في الرواية تمحورت حول المستعمرة والعمل فيها، سؤال الهوية وممارستها، بعد ذلك «في المنتصف» تخرج أسئلة من نوع مختلف، أسئلة أقرب إلى كون الراوي فتاة بدأت مراهقتها أو على وشك، أسئلة الجنس في ظل القرية، في ظل الكلاشيهات الكبرى:

«حرام، عيب، عِرض».

في حصة العلوم، في درس الجهاز التناسلي، تسأل هيا، صديقة الراوية، معلمتها عن سبب إنتاج ملايين الحيوانات المنوية، في حين أن حيواناً واحداً كافٍ لتلقيح بويضة واحدة. الراوية، وفي طريق عودتها إلى البيت، تطرح في محفظتها سؤالاً يُرهقها:

«كيف يصل الحيوان المنوي إلى البويضة رغم أن كلاً منهما في جهاز منفصل؟»

يبدو أن الراوية على قدر غير بسيط من الخجل أو الخوف، إنها تسأل، لكنها تُخبئ أسئلتها، وفي مقاربة سريعة للنص النفساني «للفراشة» يبدو أن ما يحمي الفراشة من الضياع وتشابك الأسئلة بداخلها في ظل حراك سؤالاتي عنيف هو كون الأسئلة التي تُخبئها الراوية في محفظتها لا تموت، بل تظل تتنفس وتتحرك إلى أن تخرج في النهاية، وتنزل كعيدان ثقاب على المستعمرة.

كل الأسئلة ستنزل، أسئلة الوطن وأسئلة الجنس وأسئلة الحب، لأن الأسئلة كلها هي أخيلة لسؤال واحد أكبر، إنه سؤال الحياة في تعدد أسمائها وتحولاتها الزمنية.

لا تكتفي الراوية بتخبئة أسئلتها في المحفظة، بل وتخبئ سؤال الصغير سالم الذي يسأل الراوية:

«لماذا سينام عمي رشيد في سرير أبي؟»

في الرواية يستشهد أبو سالم ويتزوج أخوه امرأته:

«ليستر عرض أخيه ويلم لحمه».

سالم الصغير يسأل الراوية أيضاً: «من الذي سيُجيب عن الأسئلة التي تحت البلاط؟» الأسئلة التي في المحفظة؟ «الله»، تجيب الراوية دون أن تضع السؤال في المحفظة.

في جواب واحد تُحل عشرات الأسئلة التي خُبئت منذ البداية: «الله في السماء يعرف أشياء لا نعرفها».

تقول الراوية وتسكت.

وتُحب الفتاةُ نزار صاحب الاسم الحركي «أبو عمار»، وتنتظره كي يمر من أمام شباكها كل يوم، و«أبو عمار» يشارك في المسيرات، ويهتف فيها بالميكروفون، وتهتف معه ميس صديقة الراوية. الراوية لا تشارك، إنها تسأل وتحب وتكتب مذكراتها وتكتب لنون، الحرف الأول من نزار.

«أيتها الفراشة اشربي من الأسئلة وتغذي من الأحلام»، تكتب الراوية على دفترها، إنها فتاة تكبر على الأسئلة والأحلام، إن كل ما تريده الفتاة من الدنيا في تحريف لمقولة ميلر هو «رزمة أحلام ورزمة أسئلة».

ميس تُخبر الراوية بأنها تحب أبو عمار، المتظاهر للمتظاهرة كما «الطيبون للطيبات»، أما الفراشة فهي للنار أو للأسئلة أو لرجل لا تحبه، سيطلقها بعد أن تنجب منه طفلاً.

الأب يُطرد من العمل في المستعمرة لأن شخصاً ما وضع مبيداً مع الماء فماتت أشجار العنب، ويعود لتربية الخراف. يستشهد نزار: «لماذا مات نزار؟»، تتسع المحفظة على سؤال جديد، سؤال الموت والحب.

«هل اسمي على شهادة الميلاد أهم، أم ساق جدي وتضحيات الثورة؟»

جد الراوية الذي أصيب في ساقه في حرب 67 يُلقب بالأعرج، تكتُب الراوية على ورقة الامتحان اسمها ومعه الأعرج، الاسم والأعرج، الاسم والوطن، الاسم الحقيقي والاسم الحركي، الاسم الفتاة والاسم الجد.

وتتوالى الأسئلة: «لماذا نترك عدونا الحقيقي ونركض خلف بعضنا؟» سؤال السياسة الفلسطينية التي أتعبت الصغار قبل الكبار بانقساماتها ولامفهوم فعلها.

وينبت جناحان للفراشة في نهاية روايتها، وتطير

«حلقنا فوق مدينة الكرتون»/ المستوطنة، وتفتحُ الراويةُ ثوبَها بالقرب من القلب فتنزل الأحلام والأسئلة «تشبه عيدان ثقاب برؤوس حمراء».

«هل ستحرق عيدان الثقاب مدينة الكرتون؟ ضعوا السؤال في محافظكم أو اسألوا الله».

***

ليست الفراشة وحدها من تسأل في الرواية، إن كل جيل من أجيال الرواية كانت له أسئلته، أغلب الأسئلة تقاطعت في سؤال أكبر وهو الوطن ومفهومه وكيف نعيشه. الجد مثلاً، الجيل الأول، الذي شهد الضياع الفلسطيني يسأل «إلى متى سيظل الأخوة يمسكون برقاب بعض»، الأب، الجيل الثاني، جيل ما بعد الضياع، له أسئلته أيضاً في الرواية. الراوية، الجيل الثالث، لها أسئلتها. سالم الصغير، الجيل الرابع، جيل المستقبل الغامض، يسأل أيضاً. تعدد الأسئلة والسائلين يكشف عن اشتباكات عنيفة في المفاهيم لدى أغلب الأجيال، اشتباكات وصلت إلى نصف حل بعد أن صارت أسئلة.

***

«اسمي الحركي فراشة» صدرت مؤخراً في رام الله عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. الرواية رواية الأسئلة الفاتنة والمخيلات الفتية، رواية الضجر والوطن والعنب والجنس الصغير الذي لم يتعد طور الأسئلة الصغيرة وبراءة المعرفة، رواية القرية بعيون فتاة في طور نموها على المقدس المجتمعي، رواية الوطن بمفهومه الأبسط، شجرة تمر أو حبيب شهيد، رواية السياسة وعنفها وطلاسمها اللامفهومة.

نشاط شباب وشابات من يراعات.

اسمي الحركي فراشة ممنوع في طوباس

"فراشة" أحلام واجتهادات "التربية والتعليم"

كتبت نائلة خليل

نقلاً عن جريدة الأيام

تلقى عدد من مدارس مديرية طوباس أوامر شفهية بسحب قصة الكاتبة أحلام بشارات «اسمي الحركي فراشة»، الذي قامت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي بطباعته ونشره وتوزيعه على مكتبات وزارة التربية والتعليم، وذلك بالطبع بعد موافقة لجنة القراءة المختصة في الوزارة.

السحب الشفهي المستعجل لم يكن كافياً لسحب جميع النسخ من مكتبات مدارس المديرية، واحد من هذه الأسباب أن القرار الشفهي جاء صباح الخميس 11/ آذار، أي تلاه يوما إجازة هما الجمعة والسبت، قامت خلالهما «الأيام» بالحديث مع كل من له علاقة بالموضوع لمعرفة الأسباب.

إحدى المعلمات قالت لـ «الأيام»: «تم الاتصال بنا من المديرية وطلبوا منا تسليمهم نسخ الكتاب الخمسة قبل الساعة العاشرة».

وتقول الكاتبة أحلام بشارات التي تعيش في محافظة طوباس: «تم سحب قصتي «اسمي الحركي فراشة» من العديد من مدارس المحافظة، ما أثار استغرابي لأن الكتاب تمت الموافقة عليه من قبل لجنة القراءة في وزارة التربية والتعليم، وهي العنوان الذي يمنح التصريح لأي كتاب بدخول مكتبات المدارس».

وقالت: «قمت بالاتصال بمدير التقنيات في مديرية التربية والتعليم، وسألته لماذا قمتم بسحب الكتاب؟ فأجابني: «راح تعرفي بعدين».

وتتابع: «جوابه كان محيراً لي، وبعد الظهر، عندما تأكد سحب الكتاب من عدد آخر من المدارس، اتصلت به مرة ثانية لأستفسر عن السبب، سيما أنني الكاتبة وكان من الأجدى أن يتم وضعي في الصورة، فأجابني: «إن سحب الكتاب جاء نتيجة قرار بالإجماع، وأنا لست مخولاً بإخبارك عن التفاصيل أو السبب».

وعند سؤال «الأيام» لمديرية التربية والتعليم عن سبب سحب الكتاب أكدت أنه: «لم يتم سحب أي كتاب، وما جرى مجرد إجراء روتيني، حيث أنه يجب أن يأتينا كتاب من وزارة التربية والتعليم يذكر فيه موافقتها على دخول الكتاب إلى مكتبات المدارس».

وفي مقابلة أخرى مع مدير التقنيات والمكتبات في الوزارة، السيد محمود داود، أكد أنه: «لم يتم إصدار أي قرار من الوزارة بسحب الكتاب».

وعندما اتصلت «الأيام» بمدارس تياسير وعقابا وطمون، أكدت هذه المدارس أنه تم سحب الكتاب فعلاً منها، وعلقت إحدى المعلمات: «أخبرونا أن فيه ألفاظاً لا يجوز أن تقرأها الطالبات!!».

وكانت مصادر أخرى في الوزارة قد أكدت أن هناك نقاشاً حامياً يدور بين الوزارة ومديرية طوباس حول صلاحية دخول الكتاب إلى المدارس، بحجة أن فيه بعض الألفاظ والأفكار التي لا يجوز أن تكون بمتناول أيدي الطلبة.

وتتحدث قصة «اسمي الحركي فراشة» عن فتاة تعيش في قرية لديها الكثير من الأسئلة حول ما يدور حولها من مستوطنات، وطن، عائلة، وسن النضوج، وفي كل مرة يستعصي عليها سؤال تخبئه في محفظة.

ربما ما جعل بعض المسؤولين في مديرية طوباس يجتهدون في التفكير بمنع الكتاب هو ما جاء في الصفحة «24» التي تتحدث عن انتظار الفتاة وزميلاتها شرح درس العلوم الذي يتحدث عن الجهاز التناسلي، عندها نستنتج أن الحديث عن هذا الموضوع ممنوع في الأدب، ولذلك يجب أن يمنع أيضاً في حصة العلوم تحسباً للحلال والحرام وتحقيقاً لمكارم الأخلاق!!!.

انتظرت «الأيام» حتى يوم الأحد لتحصل على جواب رسمي من الوزارة على لسان الوكيل المساعد جهاد زكارنة الذي أكد أن: «ما حصل هو سوء فهم وتقدير، ولا يوجد أي موقف من الكتاب الذي وزع على كل المحافظات، وأي مدرسة تريد أعداداً منه سنقوم بتوفيرها في الحال، وأن الأعداد التي سُحبت سيتم إرجاعها».

وأوضح أن: «ما حصل هو مجرد خطأ إداري، حيث لم يُدرج اسم الكتاب «اسمي الحركي فراشة» ضمن كتاب الوزارة عن الكتب التي يجب أن توزع في المكتبات».

لكن «الأيام» حصلت على كتاب صدر عن مكتب مدير التعليم في طوباس بتاريخ 7 آذار بمناسبة الاحتفال بيوم المكتبة جاء فيه التالي: «وردتنا قصص وكتب خاصة بأدب الأطفال من مؤسسة تامر والعدد الأخير من مجلة الإسراء من دار الإفتاء، يرجى استلام حصتكم من المديرية قسم الديوان حسب الجدول المرفق واعتبار كتابي هذا موافقة لإدخالها بالعناوين والكميات».

موقع من مديرالتربية والتعليم لمحافظة طوباس أ. محمد زكارنة.

الكتب الواردة هي: كتاب «اسمي الحركي فراشة» عدد 200 نسخة، كتاب «حكايات على ظهر فرس» عدد 160 نسخة، كتاب «السيد سيرافين» عدد 160 نسخة، «مجلة الإسراء عدد 38».

تمّ توزيع هذه الكتب سوية على 40 مدرسة في المحافظة.

ما سبق يثبت أن عذر مديرية طوباس ليس له أساس من الصحة، وأن عملية سحب الكتاب كانت ستتم بناء على اجتهادات شخصية من أحد المسؤولين هناك، وبمعزل عن قرار الوزارة، لولا تدخل الإعلام طوال الأيام الماضية.

وتعلق رناد القبج مدير عام مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي: «علمنا بالنقاش الذي تم على خلفية هذا الكتاب بين المديرية والوزارة، وكنا نتمنى أن لا يكون الحوار جاء على خلفية نقاش قضايا دينية أو جنسية، أو لأمور لها علاقة بالحرية الشخصية، نرغب أن يبقى الحوار بشكل دائم وليس انتقائياً».

وأكدت: «حصلنا على موافقة الوزارة في أيلول الماضي، وهذا الكتاب مناسب تماماً للفئة العمرية ولا يوجد فيه ما يمس الأخلاق والحياء»، مشيرة إلى أن بعض المسؤولين في الوزارة طلبوا في الأيام الماضية أعداداً إضافية من القصة للاطلاع عليها بسبب النقاش الدائر حولها.

حكاية كتاب «اسمي الحركي فراشة»

مهند عبد الحميد

نقلاً عن جريدة الأيام

«ترمي بشرر» الرواية التي فازت بجائزة البوكر العربية للعام 2010 للأديب السعودي عبده خال، تنتقد بشدة تعنت رجال «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في تعاملهم مع المواطنين داخل المملكة العربية السعودية. تتحدث الرواية عن تبني هؤلاء لفلسفة اجتثاث، واعتقادهم بأنهم دولة داخل الدولة، وترى أن مطاردة الحياة الطبيعية يهشم الناس ويحول حياتهم إلى خراب نفسي واجتماعي، ويتولد عن ذلك نوع من الكسور الاجتماعية التي تنتج تشوهات تستشري بين الناس وتحول البعض إلى منحرفين أو إرهابيين. ربما كانت المعالجة الجريئة لتلك الظاهرة وراء فوز الرواية بالبوكر، الجائزة الأهم عربياً.

في قندهار – أفغانستان، رشق راكبو دراجات نارية بالأسيد فتيات أفغانيات مع معلماتهن وهن في طريق عودتهن من المدرسة. التهمة هي الذهاب إلى المدرسة ومخالفة قرار طالبان الذي يحظر على جميع البنات الذهاب إلى المدارس.

في إحدى مدارس دمشق الحكومية هاجمت الطالبات معلمة الموسيقى بألفاظ التكفير والتهديد والوعيد.

وفي محافظة طوباس سحبت مديرية التربية والتعليم كتاباً موجهاً لليافعين بعنوان «اسمي الحركي فراشة» للكاتبة أحلام بشارات، الصادر عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي دون تحديد أسباب. علماً أن لجنة القراءة في وزارة التربية والتعليم أقرت الكتاب ووافقت على توزيعه في المدارس.

ما هو مشترك في الأحداث السابقة هو اضطلاع أفراد ومجموعات وقوى بتحديد معيار أو تفسير حصري للأخلاق وللدين والسعي لفرضه على المجتمع، واعتبار تلك المواقف غير قابلة للنقاش والاجتهاد كونها حقيقة مطلقة وتفسيراً وحيداً للدين.

قد تختلف حادثة سحب قصة «اسمي الحركي فراشة» من مدارس محافظة طوباس عن أحداث قندهار ودمشق وما تفعله هيئة الأمر بالمعروف في المملكة السعودية، من زاوية المستوى الإرغامي والعنفي الأقل، لكنها تتفق مع تلك الحوادث من ناحية إقامة النظام باليد وفوراً. لا يحق للتربية في طوباس أن تكسر قرار لجنة القراءة في وزارة التربية والتعليم، التي أقرت الكتاب بعد أن محصته. ويعتبر سحب الكتاب تمرداً على قرار

الوزارة من جهة، وتقديم نموذج متناقض مع أهم مبدأ للتربية والتعليم وهو احترام النظام والحفاظ عليه من جهة أخرى. إن سلوك «تربية» طوباس يشرع لكل من لا يعجبه قرار أو سياسة تربوية أن يتمرد عليها أو يرفضها، بل إن قرار تربية طوباس يفسر لماذا لا يلتزم مدراء المدارس بالنشيد والعلم، ويفسر عدم الالتزام بالزي المدرسي وفرض زي آخر، وعدم الالتزام بدروس الموسيقى واعتبارها حراماً.

من حق «تربية» طوباس أن تقدم ملاحظات وأن تقدم رأياً وتقترح أفكاراً حول الكتاب وأي شيء آخر، ولكن على قاعدة الالتزام بالقرار والشروع بتنفيذه، وهذا للأسف لم يحدث، بل حدث العكس عندما قام مكتب التربية بسحب الكتاب من طرف واحد دون العودة للوزارة. وجاء توقيت هذه الحادثة بالتزامن مع إعلان رئيس الحكومة د. سلام فياض عن ميثاق شرف يصون حرية التعبير والإبداع في يوم الثقافة الوطنية 13/3.

حسناً فعلت وزارة التربية والتعليم عندما تدخلت وأعادت كتاب «اسمي الحركي فراشة» إلى مدارس محافظة طوباس، لكن هذا لا يحل المشكلة التي قد تتكرر في موقع آخر، إذا لم تتم مساءلة ومحاسبة الذين اتخذوا القرار، وتحديد المسؤولية عن هذا النوع من الاختلال الذي يهدد نظام التربية ويشوش النموذج التربوي ويضعف هيبته.

إن سحب الكتاب يشكل مساً بالكاتبة أحلام بشارات التي قدمت عملاً تربوياً مبدعاً شديد الأهمية، دخلت فيه عالم الطفولة وطرحت الأسئلة الصادقة والجريئة. فالإنسان يولد من الأسئلة كما يولد الكتكوت من البيضة. «اسمي الحركي فراشة» سجال أطفال مع أطفال يخلو من الخطابة ويبتعد عن الخطاب النمطي الذي يقدم أطفالاً بلا طفولة، عمل يعود بنا إلى الطفولة وما تحويه من براءة وتساؤل ومعرفة وخيال. قصص أحلام بشارات تحكي عن حاجة الأطفال إلى الحب والعاطفة، تدخل إلى خيال الأطفال وتتوقف عند مشاكلهم النفسية والاجتماعية، وعند ذكاء الأطفال وميلهم الفطري للمعرفة. وسحب الكتاب يشكل مساً بالكتّاب زملاء وزميلات أحلام، فما يتعرض له كاتب من إساءة أو انتهاك يصيب الآخرين. وقد تداعى عدد لا بأس به من الكتاب والكاتبات للتضامن مع الزميلة أحلام، لكن التحرك توقف بعد أن أعادت وزارة التربية الكتاب إلى المدارس.

هل توقف مكتب التربية في طوباس عند المضمون التربوي لكتاب «اسمي الحركي فراشة»؟ الجواب لا، لأن مسؤولي التربية توقفوا عند بعض المسميات واعتبروها مخلة من وجهة نظرهم. للأسف فإن مكتب تربية طوباس لم يقل لماذا سحب الكتاب، وهذه نقيصة إضافية، فكان ينبغي تحديد الأسباب بصراحة وعدم ترك القراء، وبخاصة الإعلاميين، للتنبؤ بالأسباب.

أنا بدوري كنت قد قرأت العمل عندما كان مخطوطاً وشاركت في مناقشته في مؤسسة تامر، وعدت لقراءته بالأمس كي أعرف لماذا سحب، لأتفق مع زميلاتي وزملائي الإعلاميين الذين أثاروا الموضوع، وبخاصة الزميلة نائلة خليل التي حملت على عاتقها متابعة المشكلة إعلامياً حتى النهاية نصف السعيدة.

ما ورد في قصص أحلام بشارات عن الولادة والحمل والجهاز التناسلي أقل بكثير من النص الموجود في الكتب المدرسية لمادة الأحياء، ولا يتعارض مع ضرورة التعرف على الجسم ووظائف الأعضاء البيولوجية بشكل علمي، ولا مع أهمية أن يعرف كل طفل مكونات جسمه وأهمية كل عضو وخصائصه ووظائفه. نحن بحاجة إلى أكثر بكثير من التعريف الخجول بالجسم، لأن ذلك يرتبط بالنمو النفسي والجسدي والعقلي السوي أو غير السوي. وإذا لم نقم بتعريف الطفل بخصائص النمو وبما يحدث بداخله من تغييرات جسمانية وفسيولوجية بالتدريج، فإن الطفل دائم البحث عن الغريب والمجهول سيجد طرقه الخاصة للمعرفة والتي تنعكس سلباً على تكوينه.

قراءة في «اسمي الحركي فراشة»

فتحي أبو مويس

في زمن كان يسمى الجاهلية كان الناس يحتفلون إذا نبغ لهم شاعر، وتقام الأفراح وتعم البهجة أرجاء الصحراء، أما اليوم فإذا نبغ لنا كاتب نبحث ونفسر ونجتهد لنقتله في مهده، نشحذ خناجرنا ونتمايل فلسفة: ماذا أراد بهذه الكلمة أو بتلك؟ نقوّله ما لا يقول وندعي عليه ما هو منه براء ثم نتباكى حسرة على الثقافة والعلم؟! ألم تقرؤوا؟! ألم تعرفوا أين نحن؟! نحن خارج التاريخ، تلك العقول المهترئة ما زالت تفرض طوقاً من الجهل والتخلف علينا.

أيها السادة بفلسفتكم يجب أن نخرج كل التراث العربي من مكتباتنا، أقرأتم العقد الفريد والأغاني ولسان العرب وفقه اللغة وألف ليلة وليلة... وكل التراث العربي؟ بعيونكم كان الثعالبي والأصفهاني لا أخلاقيين، كان كل تراثنا إباحياً.

كتاب جديد للكاتبة أحلام بشارات تثار حوله عاصفة، لأن الكاتبة عرضت أسئلة النضج كما يحسها يافعينا، وبدل أن نتعلم كيف نجيب على أسئلتهم وكيف نشبع فضولهم بطريقة تربوية علمية، نحاول مسح الأسئلة من ثقافتهم. وبدل أن نقيم أساليبنا في تقديم المعرفة إليهم اعتقدنا أن محو السؤال من الكتاب، أو حتى إعدام الكتاب سيمحو تلك الأسئلة الصغيرة من أذهان أبنائنا.

أيها السادة حاولوا مرة أن تنزلوا من عليائكم لتحسوا وتفهموا تفكير أبنائنا، لم يعد من الممكن الحجر على عقولهم، لم نعد قادرين على مطاردة أسئلتهم، هم جيل مختلف متميز، لم تعد تجدي نفعاً سياسات الرعب التي كنا نفرضها عليهم، فقد تجاوزوها إلى عصر الجرأة، وإن لم نحسن التعامل مع جرأتهم فسنجدهم في عصر التمرد والثورة على كل العادات والقيم، سيلقونها خلف ظهورهم، وسيستوردون القيم التي لا نريد.

الكاتبة تعمل معلمة، وهي بالتأكيد تتلمس هموم وأسئلة بناتنا أكثر من مجتمعنا الذكوري الجالس خلف قضبان المكاتب، والذي تفاجأ وصدم بجهله بما يدور في ذهنهن.

إن أفقنا من صدمتنا وقرأنا القصة فسنتلمس زاوية رؤية مختلفة ودقيقة، نستطيع من خلالها محاولة التواصل مع بناتنا، ولكن جريئين بالاعتراف أننا لا نبذل جهداً حقيقياً في تشييد جسور الثقة والتفهم للفتاة، ربما نجلس مع أبنائنا ونجيب بعض أسئلة النضج لديهم، لكن مجرد أن يخرج السؤال من شفتي فتاة فسنعتبره جريمة لا تغتفر، ونجبرها على أن تدفن أسئلتها تحت صخرة صماء تربض على نموها النفسي والاجتماعي، وتلقي بظلالها على مستقبلها وعائلتها.

ربما تراجع التمييز المادي بين الأبناء والبنات في مجتمعنا، فحتى الكاتبة لم تتعرض له كقضية بارزة في حياة الأسرة الفلسطينية بخلاف فدوى طوقان التي تحدثت عن أثر التمييز على نشأتها، ولكننا ما زلنا نقيم في بيوتنا وعقولنا عصر الحريم، مازلنا نخرج البنات من دائرة الفعل والقرار مع العلم أنهن اليوم يتفوقن على الأبناء في التحصيل العلمي وفي كثير من الأحيان هن أكثر ثقافة من الأبناء، فلنحاول تحرير عقولنا من ذهنية الحريم، ولنتصرف كآباء للبنت والولد، وألا نرحل مسؤولية تربية البنات إلى الأمهات، وكأننا نقرر الفصل التام بين عالمين مختلفين.

ما ورد من أسئلة في قصة «اسمي الحركي فراشة»، ورد في الكثير من قصص الكاتبات اللواتي يتحدثن عن فترة البلوغ، ففدوى طوقان تتحدث عن بلوغها، وفي قصة سماء حمراء تتحدث الكاتبة عن سن البلوغ، وعندما أقرت وزارة التربية توزيع الكتاب في المدارس كان ذلك عن إدراك تربوي تام لاحتياجات وخصائص هذه المرحلة العمرية، لكن البعض لم يعجبه قرار الوزارة واعتقد أنه الأحرص على مصلحة وأخلاق الأبناء، فاجتهد مخطئاً بالتحريض على الكتاب.

أما الأسئلة السياسية التي طرحتها الكاتبة فهي أسئلة الضمير الفلسطيني، نعيشها جميعا وتقصم ظهرنا. فهل هناك فلسطيني واحد يستمتع بحالة الانقسام؟ أليست جرحاً يدمي القلوب؟ أليست لدينا شريحة مبهورة بالاحتلال وترتبط معه بمصالح ووكالات؟ أليست الخيانة خنجراً في ظهورنا؟ هل ندفن رؤوسنا في الرمل ونقول كل شيء على ما يرام؟؟

ملف خاص حول رواية «قطعة صغيرة من الأرض»

تجربة الكتابة المشتركة في رواية «قطعة صغيرة من الأرض»

سونيا نمر

في البدء أود أن اشير إلى أن تجربة الكتابة المشتركة في رواية قطعة صغيرة من الأرض لم تكن تجربتي الأولى في الكتابة المشتركة بل سبقتها تجربتان مماثلتان، الأولى في لندن عندما كتبت قصتيّ «السنونو الذكي» و«حذاء الطنبوري» باللغة الإنجليزية مع الصديقة رشا حماقي، وكان سبب كتابتها بالإنجليزية حينها إطلاع الجمهور الإنجليزي على التراث الفلسطيني، حيث قمنا برواية القصتين أثناء معرض التراث الفلسطيني في متحف الإنسان، ثم قمت بإعادة كتابتهما بالعربية ونشرتهما مؤسسة تامر عام 1996.

أما التجربة الثانية فكانت قصة «التنين» والتي كتبتها بالاشتراك مع الصديقة سعاد ناجي، وهي قصة حاولنا فيها السخرية من مؤتمر القمة العربي الذي انعقد على إثر اندلاع انتفاضة الأقصى.

كانت فكرة الكتابة المشتركة تأتي بمبادرتي، والسبب في ذلك هو أنني أكون في غاية الاستمتاع عندما أكتب

سونيا نمر: قاصة واستاذة جامعية.

غلاف رواية «قطعة صغيرة من الأرض»

مع شخص آخر، وكأن خيالي مسرح بحاجة إلى جمهور ليصب الأفضل لديه.

بدأت قصتي مع قطعة أرض صغيرة عندما تعرفت إلى إليزابيث ليرد، الكاتبة الإنجليزية التي قدمت إلى فلسطين في أوائل 2003 لتعطي ورشة في الكتابة الإبداعية، وبعدها، وفي نفس العام، دعيت إلى ليدز في إنجلترا لحضور مؤتمر الكتّاب الإنجليز لأدب الأطفال. وهناك التقيت إليزابيث ثانية.

خطرت لي حينها فكرة أن أعرض عليها الاشتراك في كتابة رواية عن الوضع الفلسطيني أثناء الاجتياح. ترددت في البداية لأنها لا تعرف الكثير عن فلسطين، ولأنها لم تجرب موضوع الكتابة المشتركة. ثم بدأت تفكر، والحقيقة أنني لم أتوقع موافقتها ولكني وجدت لاحقاً أن لديها الحماس للقيام بهذه التجربة.

بدأنا التفكير بموضوع الرواية، واتفقنا على أن يكون بطلها شاباً يافعاً يعيش فترة الاجتياح، ثم أخذنا نفكر في شخصية هذا الشاب وبالعقدة الأساسية في الرواية، وعندما غادرتُ لندن كنا قد اتفقنا على بعض النقاط الرئيسية وبعض الشخصيات الأساسية.

بعد عدة أشهر حضرت ليز إلى فلسطين ثانية واستضفتها في بيتي لعشرة أيام. وهنا بدأنا نتخيل معاً القصص والمواقف والشخصيات والأبطال، أحضرنا مجموعة أوراق وألصقناها معاً لتصبح لدينا ورقة كبيرة، وضعنا في مركزها أساس الحبكة ثم الأبطال الرئيسيين، ثم أطلقنا منها خطوطاً ودوائر لأحداث القصص ومواقف الأبطال، مثل زيارة كريم للقرية، ومشاغبات جندب وقصص حب جمال وغيرها.

أخذتُ ليز لزيارة قرية عابود، وهي قرية زوجي، كما أخذناها إلى مخيم قدورة ومدرسة البنين والعمارة السكنية التي تخيلت كريم يعيش فيها.

وهكذا، في هذه الفترة بدأت ملامح القصة تتضح. عادت ليز إلى لندن وأكملنا التواصل عبر الهاتف والبريد الإلكتروني.

أريد أن أنوه هنا إلى أن الشخصيات غير حقيقية، ولكن معظم الوقائع والأحداث هي من الواقع الفلسطيني أثناء الاجتياح الإسرائيلي في العام 2002.

أما قصة الأرض الصغيرة في الرواية فهي مبنية على قصة حقيقية كبيرة الشبه، إذ كنت أسكن في منطقة الماصيون وكانت هناك أرض صغيرة يستعملها الناس كمكب لمخلفات البناء، ففكرنا أنا وأطفال الحارة أن نحولها إلى حديقة عامة ومكان آمن للعب الأطفال، وكنا قد عرفنا أن تلك الأرض هي أرض حكومة. حلمنا وخططنا، ثم عرضنا الفكرة على وزارة الإسكان التي وافقت أن تستعمل الأرض كحديقة عامة. وبدأنا تنظيفها يدوياً، واشترينا البراميل وقمنا بتلوينها، ووضعنا حدوداً لحديقتنا.

وبعدها بدأت رحلتي بين الوزارات للحصول على مساعدات عينية: وزارة الزراعة للحصول على الأزهار والبناتات، ووزارة الأشغال للمساعدة في الآليات. أردنا أن نبني حديقتنا بمجهودنا الخاص والعمل التطوعي. ثم بدأ الاجتياح وأصبحت أرض الحديقة مصفاً للدبابات والجرافات الإسرائيلية التي دمرت البراميل والجزء الذي قمنا بتنظيفه بأيدينا.

من هنا جاءت فكرة كريم وجندب وجوني في أن يحولوا قطعة الأرض الصغيرة إلى ملعب.

بقي أن أشير إلى أنني وجدت متعة كبيرة في العمل مع ليز على كتابة هذه الرواية والتي نالت عدة جوائز، وكذلك واجهت انتقاداً عنيفاً من اللوبي الصهيوني الذي حاول منع نشرها.

وهنا أيضاً أود أن أنوه إلى شجاعة إليزابيث الفائقة، فقد عرضت نفسها للخطر وللانتقاد لانحيازها إلى الحق الفلسطيني، ومنحت مصداقية كبيرة للرواية التي ما كانت لتقبل لو كتبتها وحدي كفلسطينية. وكذلك إلى الشجاعة التي واجهت بها دار النشر جاكميلان محاولات الضغط عليها للتوقف عن نشر القصة، ولكنها أصرّت مع ذلك على المتابعة.

ظهرت القصة حتى الآن باللغة اليابانية والهولندية والفرنسية والألمانية والإيطالية والعربية، وأعيد نشرها في الولايات المتحدة الأمريكية.

قراءة في رواية «قطعة صغيرة في الأرض»

للكاتبتين الفلسطينية سونيا نمر والإنجليزية إليزابيث ليرد

فتحي أبو مويس

أجابت الرواية على الكثير من الأسئلة التي شكلت، ولفترة طويلة من الزمن، أسساً بنت عليها إسرائيل دعايتها المضادة للفعل الشعبي الفلسطيني، ولربما كان أكبر الأسئلة وأخطرها: هل نزج بأطفالنا في المعركة؟ هل نستخدمهم دروعاً كما كان يقال؟ أذكر في بداية انتفاضة الأقصى أنه عمم على الناطقين الإعلاميين الإسرائيليين استخدام هذه النغمة المملة والقبيحة في تفسيرهم لسقوط هذا العدد الكبير من الشهداء الأطفال.

وفي الرواية أجيب عن هذه الأسئلة بسلاسة وعذوبة، فمشاركة الأطفال في الانتفاضة لا ينبع إطلاقاً من تعبئة حاقدة، أو تربية على الكراهية، بل من دوافع طفولية محضة وكجزء من التكوين السيكولوجي لليافعين في حب المغامرة والاستكشاف، ونمو قيم البطولة والشجاعة، يضاف إلى ذلك ممارسات الاحتلال القهرية التي يراها أطفالنا يومياً في أدق تفاصيل حياتهم: خلال سفرهم أو خلال دراستهم أو حتى خلال لعبهم. الاحتلال يضع أطفالنا في زمن الاشتباك

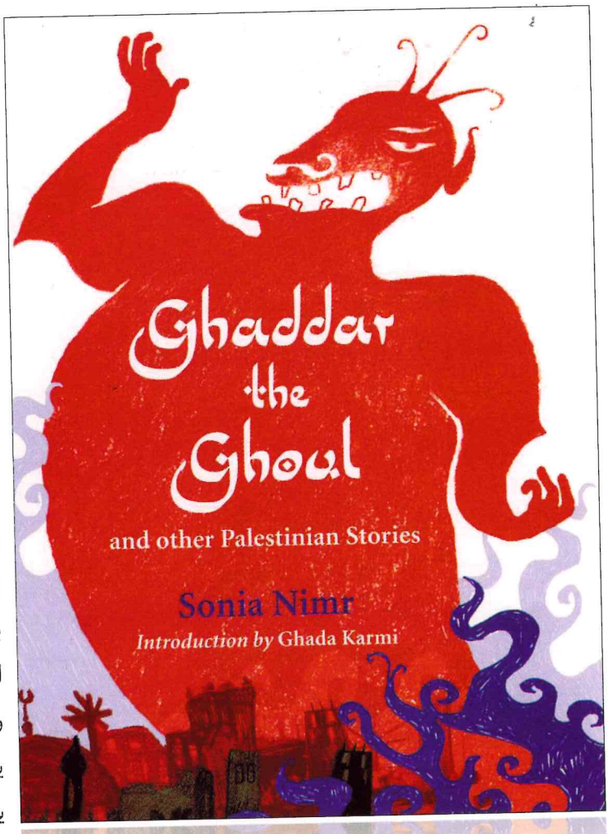

غلاف كتاب «غدار الغول»: مجموعة من القصص الشعبية الفلسطينية.

كما وصفه غسان كنفاني، فلم يرد كريم أن يصبح بطلاً، ولكن الاحتلال أجبره على أن يكون.

وقد أظهرت الرواية أيضاً أن الأسرة الفلسطينية، بكل انتماءاتها، تحرص بشدة على حماية أطفالها، وقد استوت في ذلك أسرة الجندب وكريم وجوني، وهذه حقيقة يجب ألا نخاف من إبرازها نحن، كآباء وأمهات، نفعل كل ما يمكننا لتوفير الحياة الآمنة لأطفالنا، وتقديم الرعاية لنموهم كأطفال أسوياء، لا نريدهم أبطالاً أو شهداء، ونريد أن نمنحهم الحياة ونتركهم يتمتعون بطفولتهم، وقد اتفقت أسرتي كريم وجوني على بذل كل الممكن لإعطائهم الحق في اللعب في مكان آمن، وعرضوا المساعدة في إعداد الملعب، فإذا كان الاحتلال يصر على سلبهم طفولتهم فنحن أكثر تصميماً على منحهم طفولة طبيعية.

ومن الجميل أيضاً في الرواية إبراز ذلك التناغم الاجتماعي والمحبة داخل الأسرة الفلسطينية، فقد ظهرت أسرة حسان العبودي ببساطتها الفلسطينية، وبانتماء أفرادها إلى مؤسسة الأسرة، فلمياء تقف إلى جانب زوجها في ظرفه الصعب، وتحاول مدَّ يد العون بما يمكنها، وكريم هبَّ كالنمر عندما تعرضت مرح للإهانة من بقية أطفال العمارة، وجمال غامر بروحه لإنقاذ شقيقه، وعلى الرغم من الفارق الطبقي بين أسرتي كريم والجندب إلّا أن القيم ذاتها سادت في العائلتين، فالجندب يحب أخاه والأم تهب للترحيب بضيوف ابنها. وفي الريف أيضاً سادت تقريباً نفس القيم: المائدة الضخمة وقدوم الأهل، وهذه الصورة الرائعة التي لا نلقي لها بالاً في كتاباتنا تشكل مفخرة يجب إبرازها، خصوصاً ونحن نتحدث عن رواية ليست موجهة للفلسطينيين.

الأسرة الفلسطينية اليوم أكثر انفتاحاً، فيوليت تجلس بجانب جمال، وهنا أود أن أشير إلى أني أقرأ الصحف الإسرائيلية يومياً، وقلما يخلو يوم لا يضاف تعليق فيه على أن قتلانا في قضايا الشرف أكبر من شهدائنا، وطبعاً هذه الأكذوبة تسوق في العالم الذي تملك الصهيونية إعلامه. ربما نجحت الرواية بنقل صورة أقرب لما يجري في المجتمع الفلسطيني، فجرائم الشرف التي يتحدثون عنها في طريقها إلى التلاشي، والقوانين الفلسطينية تتجه إلى إزالة العذر المخفف لتعامل معاملة أي جريمة قتل أخرى. وفي الحقيقة هناك تغيير كبير في النظر إلى العلاقات العاطفية بين الجنسين، ولكنها تخضع لصيرورة النمو الطبيعي، وأرغب أن أذكر أن فرنسا في زمن رواية البؤساء، حوالي عام 1860، تعاملت مع الإنجاب خارج الأسرة على أنه جريمة كبرى، وبالتالي فكل المجتمعات تقريباً مرت بما مررنا فيه.

أبرزت الرواية أيضاً ميزة للشعب الفلسطيني، وهي قبول الآخر والقدرة على الاندماج الإنساني، وهذه ميزة نفاخر بها عبر التاريخ، فلم يجد جوني المسيحي صعوبة تذكر في تقبل سامي ابن المخيم، والعلاقة بين أسرتي كريم وجوني لا يلمس فيها أي أثر للاختلاف الديني.

ولكن إثارة هذه القضية في خطابنا الأدبي والسياسي له محاذير، فأنا أرفض تماماً النظر إلى المسيحيين الفلسطينيين على أنهم آخر، فهم أصحاب البيت، ولسنا بحاجة لتأكيد تعايشنا معهم، فلست بحاجة مثلاً لأن أؤكد لأي كان أنني أعيش مع أخي أو ابني، فهذا طبيعي، وقد التمست للكاتبتين عذراً بأنهما حاولتا تفسير تناقص أعداد المسيحيين الفلسطينيين لأن الدعاية الإسرائيلية تحاول الربط بين إنشاء السلطة وتناقص العدد، والواقع يشير إلى أن المسيحيين تعرضوا لحملة شرسة حاولت تهجيرهم من الوطن، فقد حاولت المخابرات الإسرائيلية العبث في العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الناصرة، وبين الدروز والمسيحيين في المغار، واستهدفت منازلهم بشكل بربري في بيت جالا. وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن تقييم الفرد في فلسطين يتم على أساس مواقفه وليس دينه، ويكفي أن نذكر أن الأب عطا الله حنا يتمتع بشعبية في الأوساط الفلسطينية أكبر من الكثير من القادة الفلسطينيين.

أجادت الدكتورة في وصف ما يجري على حواجز الإذلال الصهيوني في إجبار الرجال على التعري، وأكملت الصورة في سلوك المجندة مع سليم، حيث ألقت بهويته على الأرض لتجبره على الركوع، ولكن غابت بعض الممارسات كأخذ الهوية وإجبار السائق على مراجعة مراكز المخابرات، أو سرقة مفاتيح السيارة، والكلاب التي تفتش السيارات والأشخاص، على كل حال فهذا الجزء من الحقيقة يقدم صورة عما يعانيه

أبناء شعبنا، وفقط أرغب أن أذكر أنه مضى على آخر عملية استشهادية ما يزيد على خمس سنوات، ومع ذلك تستمر الحواجز تقطع أوصال الوطن.

وتلخيصاً لإيجابيات القصة فقد نجحت في رسم صورة تقريبية للواقع الفلسطيني، وأجابت عن الكثير من الأسئلة التي كانت زاداً للدعاية الإسرائيلية المضادة.

ولكن فلتسمح لي مؤسسة تامر ببعض الملاحظات التي أرى من واجبي أن أشير لها:

جافت الكاتبتان الحقيقة حين ربطتا بين حظر التجول والعمليات الاستشهادية، وهذا مثال كلاسيكي في الفلسفة على الخطأ في الربط بين السبب والنتيجة، وللأسف فقد تبنت الكاتبتان المنطق الإسرائيلي، حظر التجول والحواجز والاقتحامات وكل أشكال القمع الأخرى، هي نتيجة «للإرهاب الفلسطيني»، وأنصح الكاتبة سونيا بمراجعة ملفات الانتفاضة الأولى، فقباطية فرض عليها حظر تجول متواصل لمدة 45 يوماً في بداية عام 1988، أي قبل أن تنطلق رصاصة فلسطينية واحدة، وأنا أعيش في قرية فرض عليها حظر التجول ثلاث مرات في الانتفاضة الأخيرة، المرة التي فرض فيها حظر التجول نتيجة العملية الاستشاهدية كان لمدة ساعتين فقط لهدم المنازل، بينما استمر حظر التجول لأسبوع لأسباب أخرى، ففي إحدى المرات فرض حظر التجول لأن ضابطاً جديداً عين مسؤولاً عن القرية، فجمعنا طيلة النهار في المدرسة.

المسؤول المباشر عن كل أشكال القمع هو وجود الاحتلال، وأي سبب آخر هو تبرير وليس أكثر، فعندما انسحبت أمريكا من فيتنام لم يعد هناك قمع أو مقاومة.

كم آمل أن تعيد الكاتبة سونيا النظر في هذه المسألة، لأنها ستكون المدخل للطعن في الرواية، فأنا أتوقع أن تتعرض الرواية لهجمة شرسة من أنصار إسرائيل وستتهم إليزابيث بمعاداة السامية والعنصرية وتلك الأسطوانة التي تستخدمها الصهيونية حول العالم.

في الوصف الأول لحال الأسرة في حظر التجول، أشعرتني الكاتبة سونيا، لأنها من عاشت التجربة، وكأن الحديث يدور عن إجازة في البيت، أو حظر تجول خمس نجوم، إذ أغفلت الكثير من الممارسات الوحشية الإسرائيلية أثناءه، فكم شهيد فلسطيني سقط فقط لأنه نظر من النافذة أثناء حظر التجول؟ وماذا عن خلط المواد الغذائية معاً واستهداف خزانات المياه وتكسير الأواني وإجبار الأسر على الإقامة في غرفة واحدة، والقائمة طويلة.

أنا أحترم وجهة نظر الكاتبتين السياسية في رؤيتهما أن المطلوب من الفلسطيني الصبر والتحمل، مع أني لا أشاركهما الرأي، وأعتقد أيضاً أن الكل الفلسطيني، باستثناء بعض المثقفين ومن بينهم كما أرى الكاتبة سونيا، يؤمنون بحق الشعب الفلسطيني في المقاومة بما في ذلك فتح في مؤتمرها الأخير، وعدم ممارسة هذا الحق لا يعني التنازل عنه، فلسنا أقلية تطالب بحقوق مدنية، إننا شعب تحت الاحتلال، والعالم اليوم يتفهم حقنا في المقاومة، صحيح أننا قد نختلف حول جدوى بعض أشكالها، ولكن تبقى المقاومة الراشدة الأسلوب الوحيد لنيل الحرية.

أمر آخر أقترحه على الكاتبتين: استبدال وصف الفلسطينيين للمستوطنين بالحيوانات بوصف الوحوش، لأن الوصف الأول يحمل عنصرية، وسيكون مدخلاً للهجوم على الرواية، أما الوصف الثاني فإنه يفيد اتصاف المستوطنين بالعدائية، فالتشبيه لغة اشتراك شيئين بصفة تكون أوضح في المشبه به منها في المشبه، فمثلاً عندما أقول أن فلاناً أسد فأنا أقصد الشجاعة، وليس مثلاً أكل الجيف، أما عندما أقول حيوان فأي صفة أقصد غير الدونية؟

ثم كيف حلت مشكلة حسان العبودي المالية؟ كان يشكو من نقص رصيده ثم فجأة يشتري بضاعة جديدة.

ولماذا هذا العداء بين كريم والقرية؟ فيما أشاهد فإن أطفال المدن يسرون بوجودهم في القرى.

كما أن الرواية اختزلت أيضاً معاناة الأسرى بثلاثة أسطر على ما أذكر، وكأن الأمر رفع عتب.

وفي الختام لا أرغب تحميل القصة أكثر مما تحتمل، فلو اعتبرت أن قطعة الأرض هي فلسطين، لكان هناك الكثير مما يقال، ولكني أفضل أخذها على ظاهرها وليس رمزيتها، ففلسطين كانت وما زالت عامرة بأهلها.

الطفل البطل والمنتصر في رواية «قطعة صغيرة من الأرض»

أحمد حنيطي

أحمد حنيطي، الرابع من اليمين.

في الواقع كانت أول محاولة لي في قراءة رواية «قطعة صغيرة من الأرض» بهدف المناقشة نصف الشهرية التي يقوم بها مركز الموارد في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي للروايات والقصص الخاصة باليافعين والأطفال، ولضيق الوقت ولأسباب أخرى لم أتمكن من قراءة سوى ثلاثين صفحة من الرواية، وحضرت لاحقاً جزءاً كبيراً من نقاشها، وقرأت فيما بعد مقالة فتحي أبو مويس التي أعدها حولها. الانطباع الذي أخذته من حلقة النقاش ومن قراءتي للمقالة كان أن الرواية ليست بالمستوى المطلوب الذي يشجع على القراءة، وهذا أيضاً جعلني أتردد في إنهائها، ولكن لا بد لي من القول أنه وبعد قراءتي لها تغيّر انطباعي تماماً لصالحها.

رواية «قطعة صغيرة من الأرض» من تأليف إليزابيث ليرد، الكاتبة الإنجليزية، وسونيا نمر، الكاتبة الفلسطينية، والكتاب ترجم إلى العربية عن النسخة الأصلية التي صدرت عام 2003 عن ماكميلان لكتب الأطفال باللغة الإنجليزية، وصدرت الرواية عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي بترجمة سمر القطب، كما تمت ترجمة الرواية إلى العديد من اللغات.

تتحدث الرواية عن حياة الفلسطينيين تحت الحصار، وبالذات تحت منع التجول، ومركز الرواية هو الفتى كريم ابن الثانية عشرة. تنطلق الرواية من الحديث عن حياة كريم تحت منع التجوال الذي قامت به قوات الاحتلال الإسرائيلي في انتفاضة الأقصى عام 2000، لتتحدث عن حياة الفلسطينيين

بشكل عام، فالظروف التي يعيشها كريم لا تنفصل عن حياة عائلته وحياة سكان العمارة التي يسكن فيها، وكذلك عن حياة سكان الحي والمدينة، وسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، فالرواية تتحدث بشكل خاص عن حياة كريم، وبشكل عام عن حياة الفلسطينيين، كما أنها تصف الممارسات المادية والمعنوية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، فتتعرض الرواية إلى الاعتقالات والقتل والأزمة الاقتصادية والصحية، والضغوطات النفسية، وعميلة التنقل عبر الحواجز بين المدن والقرى الفلسطينية، ومضايقات المزارعين في الأرياف، ووصف الممارسات الإسرائيلية ضد سكان المدينة والقرية والمخيم، والانطباعات المتبادلة بين تلك التجمعات الثلاثة. الكاتبتان كانتا بارعتين في وصف الأحداث والتنقل بينها، رغم تقليلهما في وصف الفظائع الكبرى التي ارتكبها الإسرائيليون. ولكن أجمل ما في الرواية وأكثر ما استوقفني فيها هو وصف حياة الفتيان الثلاثة (كريم، جوني، الجندب)، والبراعة والدقة التي وصفت فيها ممارسات وسلوكيات وانطباعات الفتيان الفلسطينيين عن جنود الاحتلال الإسرائيلي وممارساتهم من خلال هؤلاء الفتيان الثلاثة.

وأريد هنا أن أتحدث عن مفهوم استوقفني في حياة الأطفال الثلاثة، وهو «معنى الانتصار» لدى الأطفال الفلسطينيين، أو ما هو «الطفل البطل»؟

أثناء قراءتي لهذه الرواية وقفت عند الكثير من الأحداث التي تظهر كيف يعبّر الطفل الفلسطيني عن مقاومته وانتصاراته على جنود الاحتلال الإسرائيلي. فالأطفال الفلسطينيون لهم فلسفاتهم ورؤاهم الخاصة بالنصر والهزيمة، وفهمهم للنصر يتمثل في وصف الجندي الإسرائيلي بالغباء أو الضعف أو عدم القدرة على السيطرة أمام ممارسات وأعمال الأطفال أنفسهم.

في وصفه للطفل البطل في قصص الانتفاضة الأولى، يقول الدكتور شريف كناعنة في كتابه «الدار دار أبونا» بأن هذا الطفل البطل يكون «صغير الحجم بالنسبة إلى سنه، وقد يكون مظهره غريباً ومضحكاً بحيث يكون قد اكتسب لقباً طريفاً يصف مظهره. هذه الصفات تجعل البطولات التي يقوم بها مستغربة ومستهجنة أكثر مما لو قام بها شخص عادي. ويظهر هذا الطفل بأسماء طريفة مثل «القجة» و«الخريب» و«شنعمم» و«حنون» وهو عادة يعذب الجنود ويستهزئ بهم» (1992: 46).

كما يقول كناعنة أيضاً خلال دراسته للقصص والنكت التي جمعها خلال الانتفاضة الأولى: «من الواضح أن نكات الانتفاضة تعكس نظرة جديدة لدى الإنسان الفلسطيني نحو نفسه وبالنسبة لباقي شعوب العالم، وبالنسبة للإسرائيليين بشكل خاص، فقد اختفت منذ بداية الانتفاضة النكات التي كثيراً ما كانت تظهر الشعور بالدونية وعدم احترام الذات... مثل هذه الروح اختفت منذ بداية الانتفاضة ولا يوجد ما يشبهها في أي من القصص التي جمعتها. في قصص الانتفاضة، عندما يواجه الفلسطيني الإسرائيلي فإن الفلسطيني يكون دائماً متفوقاً على الإسرائيلي، أو مساوياً له على الأقل، وتعكس الكثير من القصص تعامل الفلسطيني مع الإسرائيلي تعامل الند مع الند... في مجموعة قصص الانتفاضة، يخرج الفلسطيني في هذه القصص منتصراً على الإسرائيلي أو على الأقل متفوقاً عليه.» (1992: 92-91).

في الرواية وردت أربعة قصص ظهر فيها الطفل أو الفتى الفلسطيني متفوقاً ومنتصراً على الجندي الإسرائيلي، ثلاثة من هذه القصص خاصة «بالجندب»، وواحدة تتعلق بالفتى كريم، والقصص هي:

الجندب هو لقب للفتى سامي الذي يسكن في المخيم، وصفاته الخلقية هي: «أطول من كريم ببعض الشيء، لكن جسمه أكثر نحولاً، يبدو أكبر منه بقليل، ربما هو في الثالثة عشرة. قميصه الذي كان أبيض اللون يوم اشتراه بات أقرب إلى الرمادي الآن، وأطراف جينزه تبدو مهترئة وبالية. ملامحه أقرب إلى الصورة المستوحاة من حياة البرية والتمرد»(ص 21). والقصة هي عندما وضع الجندب كيساً بلاستيكياً وفي داخله «بضعة حجارة وبضعة أوراق ومجموعة من الأسلاك القديمة والشرائط اللاصقة» (ص 78)، ووضعه بطريقة تبدو أنها قنبلة، ومتابعة الفتيان الثلاثة مشاهد الجنود وهم في حالة إرباك، واستحضار الجنود لأجهزة تفكيك القنابل والمتفجرات، «دعونا نتابع سوياً بعض المشاهد الممتعة» (ص 77)، بعد تفجير الكيس «أحد الرجال ركل بطرف قدميه ما تبقى على الأرض من مخلفات بسخط. سحب الجندي الآخر بعيداً ثم انحنى إلى الأرض والتقط شيئاً. تركزت عيون الثلاثة على ذلك الشيء، ثم صرخ أحدهم [أحد الجنود]، وأخذ يشتم... كان حجراً كتبت [كتب عليه الجندب] على أحد جوانبه، 'فلسطين حرة' وعلى الجانب الآخر، 'الموت لإسرائيل'، وعلى الحافة كتبت 'أغبياء'» (ص 79).

عندما دخلت دبابات الاحتلال الإسرائيلية رام الله لفرض منع التجول، تقدم الجندب نحو إحدى الدبابات والتقط باذنجانة عن الأرض ورفع الجندب الباذنجانة بانتباه حذر، وبحركة تحد واضحة، قرّبها من فمه وعضّ على رأسها الأخضر. بدت الحركة تماماً وكأنها محاولة لسحب دبوس قنبلة يدوية، ثم صوب الباذنجانة وألقاها في اتجاه الدبابة.

الشبح الرمادي بلباسه الحديدي وخوذته الهائلة، الذي كان يتابع من خلال منظار رشاشه الولد الذي يتراقص أمامه مثل الإله عطارد، محاولاً تركيز فوهة الرشاش عليه، يتابع انطلاقة الباذنجانة القادمة في اتجاهه. أطلق تحذيراً للآخرين، واحتمى بجسم الدبابة منبطحاً على الأرض. هبطت الباذنجانة فوق الجسم الحديدي، وانشطرت إلى أشلاء (ص 131-130).

أكمل الجندب استهزاءه بالجنود وبغبائهم و«بدلاً من الابتعاد، جرى الجندب من جديد في اتجاه الدبابة. راقبه كريم بفزع، وكاد قلبه يتوقف من الخفقان. قفز الجندب بحركات بهلوانية فوق مدفع الدبابة، وبدأ يتأرجح عليه وكأنه في الملعب يتأرجح فوق قضيب. بدت تلك اللحظة وكأنها زمن طويل. بدا الجندب أمام كريم كتمثال منيع محاط بالعزة والنصر والقوة» (ص 131).

القصة الرابعة هي وجود كريم مختبئاً داخل السيارة في الملعب الذي قام بتنظيفه مع صديقيه الجندب وجوني، وعلى الرغم من وجود الدبابات الإسرائيلية داخل الملعب والجنود القناصة على أسطح المباني المطلة عليه، ورغم إصابته في رجله من قبل أحد القناصة من على ظهر إحدى البنايات في اليوم الثالث عندما حاول الفرار من المكان، إلا أنه استطاع الوصول إلى المستشفى والبقاء حياً.

وفي تعليقهما على إصابتهما (كريم والجندب): «رفع الجندب كمَّ قميصه القطني الأخضر ليكشف عن الضماد، وقال مبدياً عدم اهتمام: إصابة سخيفة، هؤلاء الجنود! لا يستطيعون إصابة فيل حتى لو حاولوا» (ص 170).

وقال كريم رداً على استفسار الجندب: «وهل كنت فعلاً هناك في السيارة طوال الوقت؟ هذا ما قاله لي جوني، لم أصدق ذلك، في الحقيقة، لقد رأيتك وأنت تقع، واعتقدت في تلك اللحظة أنهم أمسكوا بك».

ابتسم كريم ابتسامة ساخرة: «سيكون هذا أكبر من ذكائهم. لم يتمكنوا من رؤيتي إلا بعد يومين» (ص 170).

لقد كانت الرواية موفقة كثيراً في وصف سلوكيات أو حياة الأطفال الفلسطينيين وأحلامهم، سواء في طريقة مقاومتهم للعدوان الإسرائيلي، أو حتى انتمائهم لفلسفة المقاومة، والتي تجلت كثيراً في حياة الفتيان الثلاثة، فتحرير فلسطين يشكل جزءاً رئيسياً في القائمة التي يود كريم أن يقوم بها أو الأشياء التي تقع ضمن أولوياته: «محرر فلسطين»، «بطل قومي» و«مخترع لمادة كيماوية قادرة على إذابة الفولاذ المقوى المستخدم في صناعة الدبابات والمروحيات العسكرية الإسرائيلية» (ص 7)، وفي مكان آخر: رغب كريم في الصراخ في وجه الجميع وإسكاتهم، «ألم تسمعوا ما قال الرجل؟ هذا الشاب ضحى بنفسه وحياته! إنه بطل.. إنه شهيد! قام بشيء من أجلنا جميعاً، من أجل فلسطين، ألا تأبهون لذلك؟» (ص 50). وبالنسبة لجوني، فقد حاول جاهداً رفض مغادرة فلسطين للسكن في عمان: «رفع جوني قبضة يده بغضب: لا .. أريد.. الذهاب.. إلى.. عمان!» (ص 169).

لا يجب أن ننسى الملعب الذي أقاموه على قطعة صغيرة من الأرض، بما يجسد أحلامهم كأطفال يرغبون بأن يكون لهم مكان يلعبون ويمرحون فيه، وأيضاً بما يجسد لهم من مقاومة وصمود ودفاع عن الأرض لم تستطع قوات الاحتلال الإسرائيلي طرد كريم منه.

تجارب وإنجازات

روايات غزّيّة بأقلام شابات ضمن مشروع «أيام أدبية»

صدرت عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي خلال العام الماضي ثلاث روايات لشابات غزيّات ضمن مشروع يهدف إلى تطوير الكتّاب والكاتبات الجدد في القطاع وخلال مجاورة أدبية تهدف إلى خلق مساحة من التعبير الحر والتبادل الفكري استمرت لمدة أربعة أشهر وذلك بدعم من الصندوق العربي للشفافية. نتج عن المجاورة ثمانية أعمال أدبية واختيرت ثلاثة أعمال باعتبارها الأفضل بين ما تم تقديمه لتنشر عن المؤسسة، كانت الروايات الثلاثة التالية: على رصيف المقهى، شيء من نور، الصورة.

الملفت أن هذه الروايات الثلاثة لاقت صدى كبيراً بعد نشرها وحلقات النقاش التي جرت حولها سواء في مركز موارد أدب الأطفال في مؤسسة تامر أو في المكتبات المدرسية والمجتمعية، وتساءل الكثيرون عن الكاتبات وعن السياق الذي خرجت على إثره هذه الروايات، كما أنها تلقت نقداً عميقاً ونالت إعجاباً واسعاً وطالب الكثيرون بالتعرف عن قرب أكثر على المبدعات الشابات اللواتي أنتجنها، ومن هنا ارتأينا أن نخصص في هذا العدد ملفاً تتحدث فيه الكاتبات الثلاث عن تجاربهم في الكتابة عموماً، وتجربتهن خلال المشروع الذي نتجت عنه هذه الروايات.

وتأتي هذه الروايات الثلاثة في إطار العمل الذي تركز مؤسسة تامر على إنجازه، ألا وهو خلق فسح تعبيرية للشباب والأطفال، وتحويل القراءة والكتابة إلى عادة وجزء لا يتجزأ من الحياة اليومية. وعلى الرغم من أن الكثيرين يرون أن كتابة الرواية لا بد أن تأتي في مرحلة متأخرة على اعتبارها النوع الأدبي الذي يحتاج إلى مخزون كبير من الخبرات والتجارب التي لم يمتلكها بعد من هم دون سن معينة، ولكن رؤية المؤسسة تركز على حق الجميع في التعبير عن أنفسهم، وتؤمن بأن الإبداع مهما كان نوعه إنما هو جزء من الإنسان، يولد معه وينمو ويتطور بالرعاية والاهتمام والمتابعة. ومن هنا تأتي محاولات المؤسسة المتكررة في دعم الكتّاب الشباب والشابات لإيمانها بأن البذرة التي تكتشف مبكراً تمنحنا فرصة أكبر للمساعدة في وضعها على المسار الصحيح، وكنتيجة لذلك كانت هذه الروايات الثلاثة وغيرها من الإصدارات التي أبدعها الشباب والتي كشفت عن مواهب أصيلة لا بد من الحديث عنها والإشادة بكتّابها.

تجربة صبا توفيق
كاتبة رواية «على رصيف المقهى»

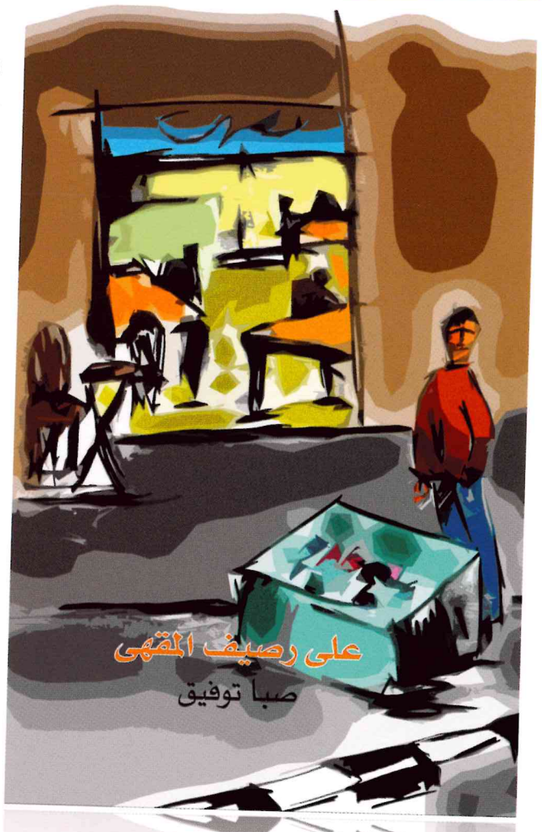

غلاف رواية «على رصيف المقهى».

أبصرت النور يوم الثامن من آب عام 1986 في نيقوسيا- قبرص، وانتقلت للعيش مع عائلتي في ليبيا ومن ثم إلى غزة حيث أعيش الآن.

تخرجت من كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم اللغة الإنجليزية في جامعة الأزهر قبل عامين، وأعمل الآن مترجمة للغة الإنجليزية في المركز القومي للدراسات والتوثيق في غزة.

«تامر ومشروع أيام أدبية».

دخلت بيت الفرح، الضحك، البكاء، الصداقة، الحب والتميز بنكهة مختلفة للأدب في مؤسسة تامر، دون أن أعرف مدى روعة التجربة التي سأعيشها.. ساعدني مشروع أيام أدبية على اكتشاف نفسي أكثر عبر الكتابة والتعرف على فن الرواية، كما تمكنت من كتابة الخاطرة والشعر النثري وممارسة فنون العمل الصحافي.

عشت أجمل الأيام مع أربعة عشر روحاً جميلة لكتاب وكاتبات برفقة الأستاذ «عاطف أبو سيف» الذي لم يتخلى عنا حتى اللحظة الأخيرة. قرأنا، ضحكنا، ناقشنا نصوصنا وانتقدناها

بروحانية وشغف تبادل المساعدة، كعزف جماعي ينفذه عازفون في أوركسترا، يحرص كل منهم على الإيقاع الجماعي.

مر الوقت سريعاً واقترب موعد تسليم النصوص، ووجدت نفسي أستسلم أكثر لفعل الكتابة الذي بدأ يستحوذ علي رغم ضيق الوقت، إلى أن أنجبت «على رصيف المقهى» التي قام بتحريرها الأستاذ محمود شقير والذي كان معي خطوة بخطوة في عملية التحرير والتطوير على المخطوطة الروائية.

«على رصيف المقهى» هي المولودة التي وجدتني قبل أن أجدها، جمعتني بها صدف جميلة لأتغلغل في عمقها وأحرر أبطالها من قسوة الواقع بالحب والإرادة والصداقة والشفافية والموسيقى.

منحني مشروع أيام أدبية في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي تجربة شفافة أهدتني دون مقابل أصدقاء وصديقات كم أشعر بسعادة لوجودهم في حياتي.

تامر..شكراً لك على كل شيء

شاطئ غزة.

تجربة غِيد عبد العزيز الهسّي
كاتبة رواية «شيء من نور»

غِيد تصر على أن اسمها يُقرأ بكسر الغين وليس بفتحِها.

تخرجت غِيد من كلية الآداب والعلوم الانسانية/ قسم اللغة الإنجليزية وتعمل الآن مترجمة. توفي والدها وهي في السادسة عشرة من العمر وهي تستعد لخوض مرحلة الثانوية العامة.

بدأت الكتابة منذ الثانية عشرة وكانت محاولتها الأولى في كتابة شيء جاد في الصف السادس عند كتابة قصة قصيرة عن «تضحية أم». تقول غِيد: «لا أدري لماذا كانت أحداث قصتي تجري في القرن السابع عشر بينما كان ملك فرنسا في ذلك الوقت هو لويس الـ15 !! يبدو أنني أحببت وقع الأرقام على لساني في ذلك الحين».

غِيد لديها العديد من الهوايات كقراءة الروايات والقصص الرومانسية ومشاهدة الأفلام والمشي والعناية بالزهور وتصفح الإنترنت وسماع الموسيقى والتأمل والغناء.

تقول غِيد: «قبل انضمامي إلى تامر وفريقها الرائع، كنت أشارك في برنامج «القصة القصيرة»

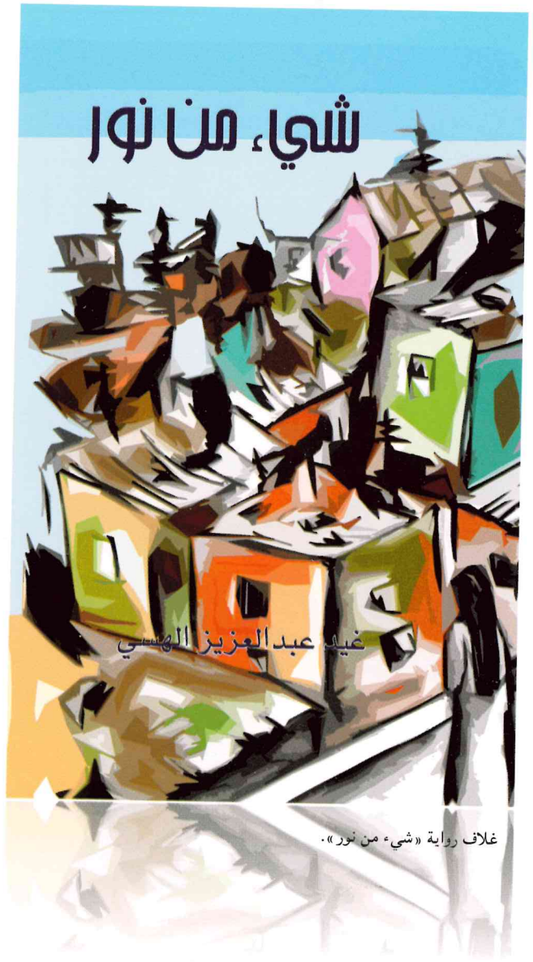

غلاف رواية «شيء من نور».

في إذاعة الـ «بي بي سي»/«بي بي سي إكسترا» وتم اختياري مرة لأفوز بأفضل قصة للأسبوع بواسطة الكاتب الفلسطيني بريطاني الجنسية «ربعي المدهون»، وقد تم اختيار عدد من قصصي ضمن المراتب الثلاث الأولى للبرنامج نفسه».

«انضممت إلى فريق الشباب في مؤسسة تامر «يراعات» وأنا في سنتي الأولى في الجامعة، وبدأت بنشر القصص القصيرة والمقالات، بعد ذلك انضممت إلى فريق «أيام أدبية» والذي كان نقطة تحول عظيمة في حياتي، وخضت التجربة مع فريق من الكُتاب الشباب المتميزين بحق».

«مشاركتي في مشروع «أيام أدبية» فتحت لي آفاقاً لا متناهية وجعلتني أتعرف إلى عالم لم يكن موجوداً إلى في مخيلتي التي كانت تصنع لي المعجزات، فمنذ نشرت روايتي القصيرة وأنا أرى «غِيد» أجمل وأروع من قبل ألف مرة. أحب تامر ولطالما أحببتها، وبعد خوضي لتجربة «أيام أدبية» بدأت أعشق الأدب والكتابة أكثر وبات لهما طعم آخر. تغيرت دنيتي الصغيرة وصار الأمل يلونها بألوانٍ شتى، صار الدفتر بحري الخاص والقلم هو يختي الذي ينقلني من عالم إلى آخر أكثر روعة ودفئاً. أنا الآن أكتب من أجل نفسي ومن أجلكم ومن أجل حبيبتي فلسطين.. أكتب لأرفع رأسنا عالياً، وكل ما آمله هو أن أرسم ابتسامة، ولو خفيفة، على شفاه طفل صغير أو طفلة سرقت منها الأيام الابتسامة البريئة، وأن أشعره أو أشعرها بالأمل الكبير الذي ملأ صدري منذ نُشرت «شيء من نور»... أُحبكم من صميم قلبي».

من أيام أدبية في غزة.

تجربة نجلاء عطا الله
كاتبة رواية «الصورة»

غلاف رواية «الصورة».

عندما يسألني أحد كم مضى من عمري، أرد عليه مسرعة بترجيح الرقم الأصح، لكن عندما أحاول أن أتذكر كيف مضى هذا العمر، أبتسم وأقول أنه مضى ما يقرب 23 سنة منه وأنا أحاول أن أشعل الشمعة من طرفيها، وأحاول أن أمشي على ضفتي النهر معاً، بين الدراسة والعمل والهواية أتنقل وأحاول أن أحافظ على رؤيتي بثوب من التميز. لا شك أن أكثر الأشياء التي أنجزتها هي شهادتي الجامعية التي سأحصل عليها خلال فترة قريبة جداً في مجال الهندسة المعمارية، وأسعد بأنني مازلت طالبة أدرس دبلوم لغة إنجليزية مهنية، في ذات الوقت أعمل كمنسقة ميدانية في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، وأحاول بين كل هذه الفوضى الجميلة أن أجد وقتاً لأمارس الأدب وأكتب عن تفاصيل تمنحني إياها دراستي بفنها وجماليتها ورؤيتها المنظورية للأشياء، وعملي الذي يمنحني كل يوم طاقة تتجدد كشعاع شمس تشرق على الكون حرارتها ودفئها.

لعل تجربة الكتابة هي الأكثر تغلغلاً في روحي، والأكثر مرافقة لي، شيء يخرج لأني أريد ذلك

بشدة، أستطيع أن أصنع من التفاصيل قصصاً تأخذني معها إلى ما هو أعمق، وأغوص في حيوات تشبهني أكثر ما تشبه الواقع. عندما تكتب تشعر أنك تريد أن تخبر الجميع عن خوالج نفسك، تريد أن تسقط كل فكرة تطرأ على بالك وتشيعها لما هو أبعد من درب التبانة. أتذكر أول صدفة جعلتني أشعر برغبتي في الكتابة، كنت حينها في الثالثة عشرة من عمري عندما كتبت قصة كان قد طلبها مدرّس أختي منهم، وأذكر أنني أعطيته إياها كطفلة صغيرة حققت معجزة، ومنذ ذلك الوقت وأنا أكتب القصص. وأذكر أيضاً أنني أنجزت أول رواية لي في زمن قياسي، كانت دفعة شعورية خرجت مني مرة واحدة، وكنت حينها في الخامسة عشرة، وقد طبعتها وكالة الغوث وهي موجودة الآن على رفوف مكتباتها في غزة.

في زحمة الأمور المتلاحقة والتعرف على ثقافات مختلفة والسفر إلى عالم يختلف في تكوينه وتركيبته بالكامل عني وعن مجتمعي، أشعر دائماً برغبة في الكتابة وتجسيد التجارب القليلة التي أعيشها وأحكي عنها. وبالرغم من أن الانطلاق في الكتابة متعة تغمرك حتى النفس الأخير، إلا أنك عندما تتقولب في إطار ما تشعر بمتعة مماثلة. أستطيع أن أنظر في هذا الجانب من خلال تجربة عشتها مع رواية الصورة، كنت محكومة بالسن والأسلوب، وهذا ما دفعني إلى أن أفكر وأفكر وأبحث عن شيء يعكس قدرتي في الخروج عن الإطار والحفاظ على الصورة في حجمها المطلوب، فمهما كنت تعتقد أنك جربت، فإنك، وعندما تستمع إلى تجارب الآخرين، تدرك أنك تحتاج إلى عمر بأكمله لتقول أنك جربت. الصورة نقلتني إلى حيز الحرفية والتفكر بأن الموهبة تحتاج إلى تقنيات تجعل من الكاتب متمكناً، لا أقول أني تمكنت ولكني أقول أني أتفكر في الإبداع والتقنيات الفنية.

أعتقد أنك لو قربت المجهر إلى حياتك أكثر ستكتشف أنك حتى تصب كأس ماء تحتاج لأن تبدع لكي تشعر بالماء الذي لا طعم له، وتحتاج إلى معرفة وتقنية في تقدير المسافة بين الصنبور والكأس وتقدير كمية الماء التي تريد أن تشربها، وهكذا هي الكتابة.

تجربة أيام مكتبية، بير زيت ١٤/١٠ تموز ٢٠١٠

عبد السلام خداش

قبل واحد وعشرين عاماً، بدأت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي عملها تحت شعار وفلسفة «المساهمة في خلق أجواء تعلّمية»، وكانت المكتبات المجتمعية في فلسطين مكاناً لتجسيد هذه الفلسفة، فجواز سفري للقراءة الذي تم توزيعه على مكتبات الأطفال الفلسطينية، والتي وزعته على روادها من الأطفال والفتيان، اعتُمد من قبل هذه المكتبات كوسيلة لتشجيع القراءة، وتشكلت بعد ذلك نوادٍ للقراءة ممن قرؤوا كثيراً وملؤوا صفحات الجوازات السبعة. كثيرون من هؤلاء القراء هم اليوم شبان وشابات لا يزالون يحتفظون بجوازات سفرهم تلك ويتحدثون عن التجربة بفخر، مشيرين إلى أنها وثقت علاقتهم مع المكتبات والكتب وساهمت في تعزيز هويتهم وتوسيع مداركهم.

من أيام مكتبية في بير زيت

يقول محمد جبر، وهو متطوع في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله:

«كان عمري عشر سنوات حين حصلت على أول جواز سفر للقراءة من مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، مما أشعرني بسعادة بالغة حينها... كنت أحمل الجواز معي أينما ذهبت، لدرجة أنني تخيلت أنني فعلاً أستطيع السفر من خلاله. في يوم من الأيام كنت ألعب مع أصحابي حين توقفت سيارة جيب عسكرية

إسرائيلية أمامنا، وسأل الجندي الإسرائيلي الذي كان في السيارة عن أسمائنا، فأعطيته جواز سفر القراءة ليقرأ اسمي عنه، لكنه قام بتمزيقه، وقد حزنت كثيراً وغضبت لفعلته تلك التي أشعرتني أنه لا قيمة لذلك الجواز. الآن أصبح عمري 25 عاماً ولا زلت متطوعاً في برامج مؤسسة تامر. أحد عشرة عاماً مرت بعد أن حصلت على جواز سفر القراءة، وأشعر الآن أن ذلك الجواز قد سمح لي أن أسافر وأن أصبح الشخص الذي أنا عليه الآن. هذا الجواز مهم جداً بالنسبة لي.. أكثر مما ظن الجندي الإسرائيلي».

وبقيت المكتبات والمكتبيين والمكتبيات في فلسطين على علاقة وشراكة مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، ولم تدخر المؤسسة جهداً في سعيها الدائم لتطوير المكتبات كمكان للتعلم، والمحافظة عليها كفسحة لاستكشاف المواهب وصقل الإبداعات وإنتاج كل ما هو مفيد وجميل. ولم نهمل المكتبين والمكتبيات، فقد تم تدريب أمناء ومنشطي ومنشطات المكتبات على العديد من المهارات اللوجستية من فهرسة وتصنيف إلى مهارات الفنون التعبيرية المختلفة لإغناء المهارات أكثر.

ترتبط المكتبات والمكتبيين والمكتبيات بعلاقة شراكة حقيقية مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي والتي تتجلى في أبرز صورها خلال انطلاق حملة تشجيع القراءة في المجتمع الفلسطيني، فأسبوع القراءة الوطني وحملة «أنا تبرعت بكتاب» التي تنظم سنوياً داخل المكتبات وخارجها تعكس تماماً التفاعل والشراكة مع المكتبات وتفاعلها مع اللجان التحضيرية في كافة المناطق.

اتصفت علاقة تامر مع المكتبات بالتذبذب في بعض الفترات، فأحياناً تكون قوية وفعالة وأحياناً عكس ذلك، وكنا دائماً مدركين للصعوبات المختلفة التي تتعرض لها المكتبات، منها الخارجية المتعلقة بالاحتلال من وحصار وحتى إغلاق لبعض المكتبات، أو لأسباب داخلية مرتبطة بالتوظيف أو إشكالية مرتبطة بمكان وجود المكتبة والأوضاع الاقتصادية. كما كنا دائماً مدركين للصعوبات والتحديات التي يتعرض لها العاملون والعاملات في المكتبات.

وفي إطار العلاقة التكاملية التي تربط مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي مع وزارة الثقافة، قامت الوزارة بعمل مسح ميداني نتج عنه دعم إنشاء وتعزيز وجود 60 مكتبة أطفال في الضفة الغربية وغزة. وبعد أن أصبحت المكتبات جاهزة تم الاتصال مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي لمتابعة الفعاليات والأنشطة وتدريب أمناء مكتبات الأطفال على المهارات المختلفة لتشجيع القراءة والكتابة، وبدء تنظيم الأنشطة المختلفة داخل هذه المكتبات لتكون مساحة لخلق جيل قارئ. وباندلاع انتفاضة الأقصى وممارسات وسياسات الاحتلال من إغلاق وحصار وتعرض بعض المكتبات للدمار والإغلاق تراجع نشاط المكتبات، إلا أننا استمرينا بالعمل من خلال أسبوع القراءة وتنظيم فعاليات وأنشطة مختلفة بهدف تخفيف الضغط النفسي والاجتماعي عن أطفالنا، وكان شعارنا: لتستمر حملة القراءة رغم الحصار والإغلاق.

وفي إطار سعينا الدائم نحو تفعيل المكتبات الخاصة كما باقي المكتبات، ولقناعتنا بأهمية مكتبات الأطفال ودورها الهام في بناء جيل واع ومثقف وناقد، فقد واصلنا العمل لتعزيز دور هذه المكتبات كفسحة كبيرة للأطفال تساعدهم على استكشاف ما لديهم من إبداعات مختلفة. ولا تكتفي المكتبة في بناء علاقات مع الأطفال فقط، وإنما تمتد لتجسد علاقة إيجابية مع أفراد المجتمع الذين يتعاملون مع الأطفال أو يعتنون بهم.

ونحن في تامر نسلط الضوء من حين لآخر على المكتبيين والمكتبيات أنفسهم، ليقيننا بأنهم يمكن أن يكونوا أساساً ومركزاً للحالة الثقافية في مواقعهم... فمن هم هؤلاء المكتبيون والمكتبيات؟ وما مدى الاهتمام بهم؟ ما مدى شعورهم بالرضى؟ ماذا يفعلون

لتطوير مهاراتهم؟ ومن يسمعهم؟ من يحلم معهم؟ ومن يقدرهم؟

أسئلة كثيرة تداولناها في تامر وكتبنا عنها، وفي هذا السياق وخلال العام 2010 كان تركيزنا على المكتبات عميقاً ومدروساً، حيث تم تنظيم زيارات منتظمة للمكتبات وبناء علاقات إنسانية مع المكتبيين والمكتبيات فيها من خلال زميلتنا سمر القطب، والتي وضعت أمامنا مجموعة من الأسئلة كان لا بد لنا من التعامل معها بعمق.

أيام مكتبية

لطالما عمل منشطو ومنشطات المكتبات على مدار السنوات الماضية على تنظيم مخيمات صيفية للأطفال، ولذا أردنا في تامر أن ننظم لهم مخيماً حمل اسم «أيام مكتبية».

كما العادة كانت تامر في حراك وحوار للخروج بأفكار ضمن سياق تعلمي يتعامل مع المكتبيين والمكتبيات بطريقة تعلّمية، فكانت «أيام مكتبية» ملتقى لهم يجمعهم للحديث والحوار والإصغاء وتبادل الخبرات وأحياناً الخيبات حول المكتبات ودورها الثقافي في المجتمع، فالمكتبيون ينفذون الأنشطة والمخيمات الثقافية والصيفية طوال سنوات، ونادراً ما ينتبه أحد إلى عظمة جهودهم وإنجازاتهم... لم يفكر أحد بأن ينظم لهم مخيماً أو ملتقى يجمعهم ويتيح لهم الفرصة للحديث عما يجول في خواطرهم... ومن هنا كانت «أيام مكتبية» والتي حاولت تامر من خلالها الجمع ما بين التعلم والترفيه والتعرف على عوالم أخرى في برنامج حاولنا من خلاله تجسيد تجربة العيش المشترك لمدة 4 أيام لغالبية المكتبيين والمكتبيات في مكتبات الأطفال في الضفة، فتشاركوا الحديث والنقاش والإصغاء للتجارب الملهمة، كما تقاسموا العيش المشترك من خلال تحضير الطعام والسهر وتبادل الأحاديث الرسمية وغير الرسمية.

فسح التعلم داخل المكتبات كان أحد مواضيع النقاش الهامة التي تناولها أعضاء «أيام مكتبية»، إلى جانب العديد من المواضيع التي اقترحها المشاركون أنفسهم.

كان يومنا الأول في العاشر من تموز حيث اجتمعنا معاً، يجمعنا حب العمل مع الأطفال ويجمعنا الأمل بإمكانياتنا وقدرتنا على المساهمة في بناء جيل قارئ وفاعل. كانت ليلى العطشان بأسلوبها الرائع وطريقتها التحفيزية، فسمعتهم جيداً كما سمعوها، ودار حديث ممتع وطويل حول الذات والعمل وهواجسه. كانت ليلى ممتعة وكان المشاركون والمشاركات يتفاعلون بحرية، وبعد هذا الاستكشاف للذات انطقلنا في جلسة ثانية للحديث حول المكتبات وأوضاعها المختلفة ومشاعرهم تجاه العمل، وعبر المكتبيون عن الكثير من التحديات التي تواجههم في العمل في المكتبات، منها ماهو مرتبط بالإدارة المشرفة عليهم، وعدم تخصيص الكثير من الإمكانيات لإنجاح المكتبة، وعدم الاهتمام بهم وظيفياً ومالياً وغيرها من القضايا، كما تم الحديث عن عدم المبالاة التي يعيشها المكتبيون وعدم قيامهم بمبادرات إيجابية وملهمة داخل المكتبات. كان حديثاً إيجابياً وصريحاً ومدفوعاً بالأمل في التطوير وتعزيز قيم العمل.

شارك المكتبيون والمكتبيات مساءً بحضور أمسية ثقافية فنية للشباب والشابات المتطوعين في تامر حيث كان الشعر والغناء، وحيث قدم الشباب المتطوعون عروضاً مختلفة مما لديهم.

يومنا الثاني بدأ مع الفنان التونسي رؤوف كراي حول كتب الأطفال والرسومات، حيث استعرض الفنان تجربته الخاصة وبعض تجارب طلبته في الرسم، وعرض مجموعة من الرسومات لقصص الأطفال وعرض بالتحليل بعض التقنيات التي تساهم في تنمية مهارات المكتبيين المتعلقة باختيار كتب أطفال جذابة لمكتباتهم، وستعرض الرسومات التي بالإمكان تضمينها خلال أنشطة الأطفال في المكتبات. كان

التفاعل جميلاً وإيجابياً مع الفنان، وتمنى الجميع لو كان الوقت المتاح لهم معه أطول.

سونيا النمر، الكاتبة والحكواتية كانت ضيفتنا في الجلسة الثانية، تحدثت عن تجربتها وسيرتها الذاتية وعما كانت تقرأ في صغرها، كما تحدثت عن أثر المكتبة في تنمية معارفها المختلفة واستكشاف إبداعها القصصي، ومن سونيا انطلقت طاقة إيجابية جميلة وملهمة، حيث تحدثت عن العمل مع المكتبات وأهمية دور المنشطين والمنشطات في تنمية القراءة لدى الأطفال وخلق فسح مختلفة لتشجيعهم تبدأ من المكتبيين أنفسهم... «منكم يبدأ الإبداع»، أصرت سونيا على القول قبل وداعنا.

استمتع الحاضرون ليلاً بمتابعة مجريات مباراة كرة القدم النهائية في مونديال كأس العالم.

في يومنا الثالث شاركتنا الكاتبة ابتسام أبو ميالة، وخبيرة الدراما والمسرحية روضة في العمل مع مجموعات من المكتبيين لتطوير مهاراتهم الفنية، فقامت ابتسام أبو ميالة مع مجموعة منهم بصناعة الدمى من القماش وكانت ورشة رائعة، حيث اقترن العمل بالقول والممارسة. وقامت روضة مع المجموعة الثانية بصناعة دمى وعرضها على أنها شخصيات في عرض مسرحي قام المشاركون بتأليفه وارتجاله بأنفسهم. لقد قامت المجموعة بعرض مسرحي تمثيلي جميل، وأعتقد أن الكثير منهم، ورغم عملهم الطويل نسبياً في المكتبات، لم يقدموا عرضاً بروعته للأطفال، وفي هذه الورشة قدم الشباب والشابات عروضاً جميلة تقمصوا من خلالها الأدوار وعاشوا تجربة رائعة ورائدة، فمعظمهم نزعوا القناع ليقوموا باللعب والعرض ويعيشوا كما يعيش الأطفال... لقد دخلوا عالم الأطفال بحق.

الكاتب محمود الشقير كان ضيف ما بعد الظهر، فقد عرض تجربته الإبداعية وناقش روايته «أحلام الفتى النحيل» مع المشاركين. هذا الكاتب الرائع استعرض ما لديه وتحدث بإيجابية وجمالية وخلق فسحاً للآخرين للأسئلة والنقاش، مما أدى إلى تبادلية رائعة بينه وبينهم. شكراً محمود شقير.

قبل الليل جرى نقاش ممتع بحضور ربى طوطح وسمر القطب من مؤسسة تامر، واستمر النقاش ليلاً مع المكتبيين والمكتبيات، حيث تحدثنا عن التجارب الذاتية داخل المكتبات وتعمقنا أكثر... فكنا نحن والليل... وما نحلم به ونطمح إليه... وذكريات طفولتنا وآمالنا لما نريد للأطفال أن يحلموا به ويحققوه.

في صباح اليوم الأخير شاركنا السيد عوني الظاهر، المبادر الرائع وصاحب التجربة الغنية في العمل مع المكتبات المدرسية، واستمعنا بشغف لعرضه حول التجربة في المدونة الثقافية وكيف يمكن الاستفادة من القصص والكتب وعرضها. قصة «مكتبة الشجرة» التي قام هذا المبادر الرائع بتصميمها تحت شجرة وارفة الظلال في بلدته جاءت ملهمة ومنيرة للجميع، فهي بلا شك نموذج حي للمنارة ووسيلة لتشجيع القراءة بين الناس. حدث هذا هنا في فلسطين، في قرية ياصيد بالتحديد. إنها حقاً أفكار إبداعية رائعة تستحق الشكر والتقدير.

لا أنسى أبداً السيدة رناد القبج، مدير عام المؤسسة وقائد سفينة التعلم فيها، والتي شاركتنا فعاليات اليوم الأخير، حيث عبرت عن أولويات المؤسسة في العمل واهتمامها بالعمل مع المكتبيين والمكتبيات بشكل دائم ومستمر، ودعم المؤسسة للبرامج التي تنفذ في المكتبات دائماً. كان حديث السيدة رناد مقدمة للحديث عن بناء شراكة حقيقية مع المكتبيين كأفراد ومؤسسات، ودعم آليات التواصل معهم بشكل دائم انطلاقاً من الإيمان الحقيقيى بأهمية الشراكة معهم، وأكدت بأنه ستكون للمؤسسة حملة قادمة تخوضها مع المكتبيين داخل المكتبات وخارجها.

من المؤكد أن «أيام مكتبية» والاجتماع بالمكتبيين والمكتبيات كان فرصة كبيرة لنا للتعرف عليهم بعمق.

ترجمات في أدب الأطفال والفتيان

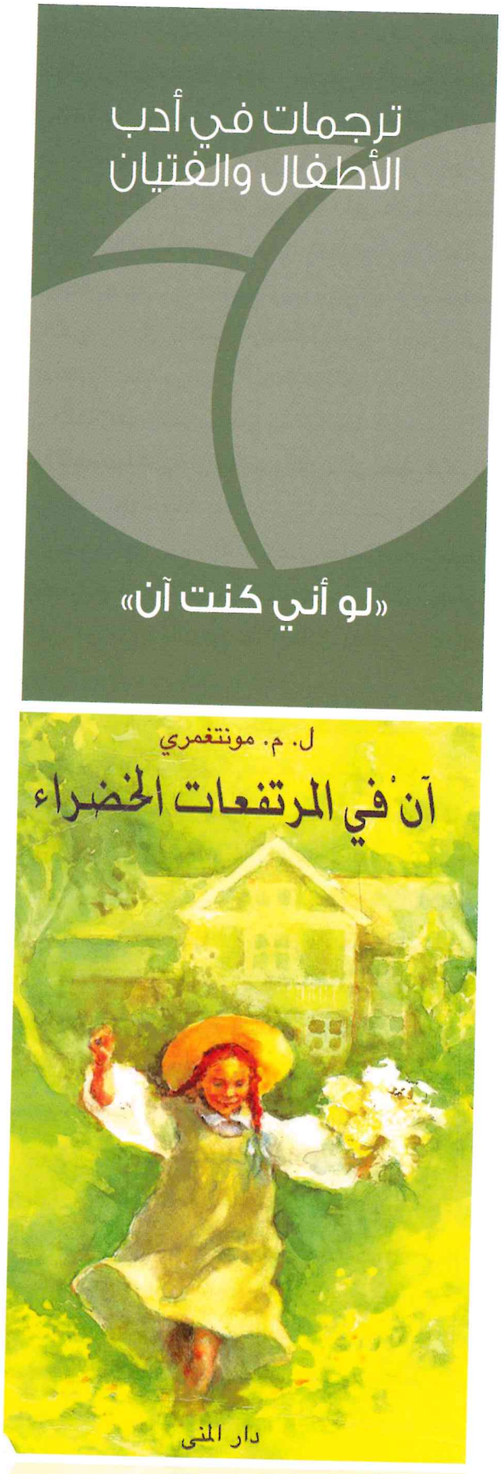

«لو أني كنت آن»

السويديون يساهمون في إيصال «آن في المرتفعات الخضراء» إلى غرف الصف في فلسطين

إعداد: ماري ماكدونالد ريسانين- جامعة تامبيري- فنلندا
ترجمة بتصرف- سمر القطب

غلاف رواية «آن في المرتفعات الخضراء».

ملخص:
للمعلمين في السويد تاريخ طويل في استخدام الأدب لتحفيز الطلبة وخلق قاعدة لتعزيز الثقة بالنفس والنظرة الإيجابية إلى الحياة. وآن في المرتفعات الخضراء هي واحدة من الأعمال الأدبية التي تتضمن نهجاً مدروساً للوصول بالقارئ إلى هذه الإيجابيات. مؤسسة الدياكونيا السويدية من جهتها تعمل هي أيضاً على الترويج لهذه المُثُل والأفكار التي تساهم في تعزيز قدرات الأطفال من خلال الأدب. وفي فلسطين تعرفت على نشاطات الدياكونيا من خلال مربين ومعلمين فلسطينيين، وفي ورقتي هذه أختبر كيفية تعامل هؤلاء المعلمين مع نسختهم العربية من «آن في المرتفعات الخضراء».

منحت جائزة آسترد ليندغرين في ربيع عام 2009 إلى مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي التي تشجع القراءة في المناطق الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وجاء في قرار لجنة التحكيم تفصيل لبواعث منح الجائزة إلى هذه المؤسسة بأن قالت: «بصبر وشجاعة وخبرة ودراية، عملت مؤسسة تامر لعقدين متتالين على تحفيز وجذب الأطفال الفلسطينيين واليافعين للقراءة ودفعهم لتطوير إبداعاتهم. وقامت بذلك بأساليب مرنة وعلى نطاق واسع رغم الظروف الصعبة المحيطة. وبوحي من روح أسترید ليندغرين، أدركت تامر قوة تأثير الكلمة ودور الكتاب والقصة والخيال كمفاتيح للنهوض بالذات وتعزيز الانفتاح والشجاعة في مواجهة الحياة».

(http://www.alma.se/en/Award-winners/tamer-/english)

وصلت إلى فلسطين في زيارة للمعهد الوطني للتعليم والتدريب قبل الإعلان عن الجائزة بأسابيع قليلة، وخلال بحثي عن التفاصيل والمعلومات لورقتي هذه التقيت ربى طوطح- منسقة برنامج أدب الأطفال في مؤسسة تامر، وزرت المؤسسة في رام الله التحتا والتقيت مديرة المؤسسة رناد القبج، وكان واضحاً لي بأن بنية تحتية مهنية ومتخصصة تقود عمليات توزيع الكتب وتروج وتعزز النشاطات الإبداعية التي تدمج الأطفال في عالم الأدب.

رغبتي في دراسة كيفية تعامل المعلمين الفلسطينيين مع «آن في المرتفعات الخضراء» في غرف الصف تعود إلى بضعة سنوات خلت، لكن ومع لقائي بمؤسسة تامر تأكد لي بأن كتب مونتغمري ليست سوى بعضاً من كتب الأدب العديدة التي تترجم إلى العربية لتمكين الأطفال ومساعدتهم لمواجهة الظروف الصعبة من حولهم.

رحلتي لاكتشاف مساحة الأدب في غرف الصف الفلسطينية ونشاطاتها، وبالتحديد محاولتي لمشاهدة «آن في المرتفعات الخضراء» تناقش خلال الحصص الصفية باتت شيئاً مثيراً وممتعاً.

بدأت الرحلة بتبادل أطراف الحديث مع من التقيت عن جزيرة الأمير إدوارد – مسقط رأسي.

عندما علمت شهناز الفار، مديرة المعهد الوطني للتدريب والتعليم، بأنني من تلك الجزيرة، حدثتني عن صورة الجزيرة في مخيلتها، وسارعت إلى تنظيم لقاء بيني وبين البروفيسور محمود العطشان من جامعة بيرزيت، والذي يدرّس « آن في المرتفعات الخضراء» لطلبته، ومع صفاء أبو عصب، منسقة البرامج الفلسطينية لدى الدياكونيا، وليلى بطراوي، الدينامو المحرك الذي يقف وراء البرنامج برمته والتي زودتني بالترجمة الإنجليزية لدليل باللغة العربية يستخدمه المعلمون في نشاطاتهم المتعلقة بـ «آن في المرتفعات الخضراء» . تم اللقاء في مكتبة معهد التدريب التي ضمت نسخاً عديدة من «آن في المرتفعات الخضراء» إلى جانب العديد من قصص الأطفال التي تعتمد منهجية مشابهة.

كان هذا في ربيع 2006 وكنت أخطط لدمج المعلمين الفلسطينيين في نشاطات مؤسسة مونتغمري، وبالتحديد في المؤتمر الذي كان سيعقد في 2008 حول «آن في المرتفعات الخضراء» كنموذج للأدب الكلاسيكي، لكن محاولتي أجهضت عندما وصلت إلى مكتب الممثلية الكندية في رام الله طالبة تمويل الخطة. تم توجيه تحذيرات لي بأن اختلاطي مع فلسطينيين انتخبوا حماس لتقود حكومتهم قد يعرضني لعقوبات شديدة وربما يوصلني إلى السجن.

بعيداً عن ذلك، يظل موضوع السويديين وتواصلهم مع الأطفال المقهورين بواسطة الأدب يلقى بعداً إنسانياً تعرفت عليه من خلال علاقات السويديين بالأطفال في أماكن وأزمان مختلفة، وبالتحديد في كيفية تعامل وتواصل السويديين مع الأطفال في فنلندا خلال الحرب العالمية الثانية.

يبرز اسم الدياكونيا غالباً عند الحديث عن ترجمة وتوزيع أدب الأطفال ودعم مؤسسات مثل تامر، والدياكونيا هي مؤسسة سويدية تعمل بالتعاون مع شركاء محليين في إحداث تنمية مستدامة للعديد من الشعوب التي تعيش في ظروف صعبة. وفي هذا السياق اشترت الدياكونيا آلافاً من النسخة العربية من «آن في المرتفعات الخضراء» من دار المنى السويدية التي ترجمت الكتاب، ووزعتها على المدارس الفلسطينية التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم وعلى عدد كبير من المكتبات العامة، عناوين أخرى عديدة وزعت

مع «آن» في نفس الحملة. المدربة السويدية أولا لوندغفيت طوّرت من جانبها نشاطات تضمنها دليل المعلمين الخاص بـ «آن في المرتفعات الخضراء»، ثم ساهمت، إلى جانب مدربين آخرين مثل ليلى البطران، في النشاطات العملية التي أدت إلى تفتح أزهار هذا البرنامج.

خطتي في البحث هي أن ألخص بعض النشاطات التي اطلع عليها المعلمون لنقلها إلى طلبتهم بـ «آن» في صفوفهم، ثم وجهة نظري في هذه النشاطات في إطار الوضع في الشرق الأوسط، ثم تعليقات حول دور الأدب في مساعدة الأطفال في التعامل مع الصعوبات التي تواجههم كالحرب مثلاً.

الفلسطينيون الذين التقيتهم أشاروا إلى العديد من الأعمال الأدبية التي تستخدم في غرف الصف لمنح الأطفال أملاً جديداً كل يوم. مثلاً الأعمال الأدبية من جنوب إفريقيا تشير إلى الانتصار على نظام الفصل العنصري ونجاح الجنوب إفريقيين في تأسيس دولتهم الديمقراطية. هذا هو الحلم الذي يشترك فيه الأطفال الفلسطينيون والذي دفعهم لرؤية انعكاس لصورتهم في هذه الكتب.

من نفس المنطلق فإن الأطفال الذين يعيشون ظروفاً صعبة، ومنهم الأطفال الفلسطينون، ينتشون بانتصار البطلة اليتيمة «آن» وتمردها على النظام الاجتماعي في أفونلي، مما أدى في النهاية إلى تعزيز انتمائها إلى نفس ذلك المجتمع الذي تمردت عليه. «آن» بهذا تمنح الأمل للأطفال القلقين وغير المستقرين، وبصورة خاصة للأطفال الفلسطينيين.

خلال بحثي عن دراسات في أدب الاطفال في المؤسسة الفنلندية لأدب الأطفال في تامبيري، اصطدمت بدراسة تحليلية للكاتبين راتريش وسودرلينغ يناقشان فيها السلاسل المصورة التي أصدرها الفنلندي توف جانسون بعنوان «مومينترول ونهاية العالم». ادّعا الكاتبان بأن جاسون أوحى في قصصه التي تلت الحرب العالمية الثانية بأن 70 ألف طفل فنلندي قد تم نقلهم خارج البلاد، وبالتحديد إلى السويد، لتجنيبهم ويلات الحرب وللعناية بهم وتوفير رعاية جيدة لهم كانوا محرومين منها في بلادهم نتيجة للقصف وخطر القنابل والانفجارات هناك.

نحن الذين حضرنا المؤتمر حول نتاج مونتغمري الأدبي نتذكر أولبا آريو التي كانت بين الحضور للحديث عن مقالة كانت قد كتبتها بعنوان «الفنلنديون الذين قرؤوا قصة آن وإميلي». أولبا كتبت عن تجربة عاشتها في العام 2006 عندما كانت طفلة في الرابعة وتم نقلها بسفينة إلى السويد. ولدت أولبا مباشرة بعد وفاة والدها عام 1939 ووفاة جدتها المحبة والراعية للأسرة، مما اضطر أمها لإرسال طفلتها الصغيرة إلى السويد. تسرد أولبا قصتها المؤثرة التي تبدأ بحديثها عن الأمل الذي أوجدته قصة «آن في المرتفعات الخضراء» في قلبها في ذلك الوقت، وتتذكر زمناً كانت فيه تقبع على أرض السفينة التي حملتها بعيداً عن وطنها فنلندا إلى الوطن السويدي الجديد.

في مقالاتها القصيرة التي تشكل في مجموعها مادة خصبة لرواية عظيمة عن اليتم، تعرفنا أولبا على مشاعر الطفلة العارية في مواجهة أعداد من الأطباء الذين أخذوا يجرون لها الفحوصات ويعطونها اللقاحات اللازمة قبل السماح لها بالتوجه إلى ستكهولم. أبحرت الطفلة بعد أن أحاطوا عنقها بطوق يحمل اسمها لتستقر في فانا لفترة ثم في بيت عائلة زاكريسون. وصلت العائلة الريفية التي استعدت لاستضافة الطفلة إلى محطة القطار على متن عربة يجرها حصان، وكانوا جاهزين للقاء الصبي الموعود الذي سيلعب مع ابنهم البالغ من العمر 12 سنة، لكنهم وجدوا أنفسهم أمام طفلة في الرابعة لا تتكلم السويدية، فتركوها في مكانها وانطلقوا عائدين أدراجهم. أمضت أولبا الصغيرة ليلتها في منزل حارس محطة القطار ثم نقلت في اليوم التالي إلى منزل عائلة زاكريسون. ربة البيت كانت تميل إلى التخلص من الفتاة وإبعادها بينما تعاطف رب الأسرة مع الطفلة وشعر بأنها قد عانت بما يكفي، وهكذا امتد بقاؤها مع العائلة لسنتين ونصف. بعد سنوات طويلة وبعد عودتها إلى فنلندة، تتذكر أولبا وتقول: «كطفلة وجدت المواساة في كتب «آن» التي شعرت بأنني أشترك معها في المصير ذاته، «آن في المرتفعات الخضراء» تتحدث عني خلال وجودي في السويد.

الفرق الأساسي الذي يبرز عند مقارنة الحرب العالمية الثانية والحرب في الشرق الأوسط هو أن الاخيرة مستمرة وبأنها أثّرت ولا تزال في حياة أجيال متعاقبة من البشر، فهذه الحرب ليست حرباً محددة بفترة زمنية بعينها، كما يحاول كيت أغنوي

وجيوف فاكس القول في كتابهما «أطفال في مناطق الحرب- من الحرب العالمية الأولى حتى حرب الخليج». هنا في فلسطين وجد المعلمون الفلسطينيون أنفسهم في وضع يتطلب منهم أن يعلّموا تلاميذهم كيفية التعامل مع ظروف حرب مستمرة، ومثل غيرهم من الأطفال، فإن الفلسطينيين لديهم أدب أطفال خاص بهم يعكس واقعهم وحياتهم.

في كتابهما «قطعة صغيرة من الأرض» والذي صدر عام 2003، عكست سونيا النمر وإليزابيث ليرد واحداً من جوانب هذه الحياة في قصة كريم، الصبي الفلسطيني الذي يعيش ظروف الاحتلال الإسرائيلي العسكري.

رفع أحد الجنود رأسه فرأى كريم يصوب نظره إليه، تظاهر كريم بأن الأمر عرضي، استدار ومشى بعيداً. لم يقل أحد لنا ما الذي كان يمكن أن يفعله أي منهما لو أنه شعر بالتهديد أو الاختناق من الآخر. أن تكون في الثانية عشرة يعني أنك لا تستطيع حماية نفسك، وأطفال كثر أصغر منه سناً يقتلون بنيران البنادق طيلة الوقت. أصابع هؤلاء الرجال تبدو وكأنها تعبث بالزناد دائماً.

«قطعة صغيرة من الأرض» هي مقاربة هامة لحياة الطفل الفلسطيني، على الأقل هي تعترف بواقعهم وتجسده، وتقدم هذا الواقع لأطفال آخرين في العالم، والأهم من ذلك أنها تعرضت لأسلوب هام من أساليب تعامل الأطفال مع المعضلة التي يعيشونها، وهي مسألة كانت قد تعرضت لها حميدة بوسماجان في كتابها «حماية الأطفال- الحزن، وما لم يُقَل في أدب اليافعين عن النازية والمحرقة».

إن النشاطات ومناهج العمل الواردة أدناه والتي تعتمد على رواية «آن في المرتفعات الخضراء» تطرح طريقة لمساعدة الأطفال على الحديث عن الوضع الفلسطيني. ربما هي شيء شبيه بضمادة الجروح، لكنها مع ذلك خطوة نحو فتح آفاق عوالم أخرى أمام الأطفال، وتمكينهم من رؤية العالم بصورة أجمل من عالمهم الذي يعيشونه الآن.

بالنسبة لأهداف القراءة التي تضعها كل من مؤسسة تامر ومعهد التدريب والتعليم الوطني، فإن كتب الأطفال تعطي الأولوية، إلى جانب الهوية الوطنية، إلى قضايا التنوع والاختلاف والفرص المتساوية وحقوق الطفل باعتبارها مواضيع توفر مساحة لنمو وتطور القيم والأخلاق والحس المجتمعي التشاركي. وهنا تدخل «آن» بسلاسة وتنسجم مع هذا التوجه، حيث تحتفل بقدرة الفرد على الانخراط في مجتمعه وبناء قاعدة من الانتماء مع المجتمع المحيط. والمعلمون الفلسطينيون يرون «آن» كشخصية واقعية جداً، فاليتيمة القادرة على التأقلم مع مجتمعها هي نموذج طبيعي يمكن للكثيرين من أطفال فلسطين أن يروا فيه انعكاساً لشخصياتهم.

البرنامج:

«لو أني كنت آن» هو سؤال يمثل واحداً من عشرة أنشطة مختلفة يقوم بها طلبة الصفين التاسع والعاشر، وهذا الجزء يسعى إلى مساعدة الطلبة للتعرف على الكتاب بصورة أفضل. هل ستعذر السيدة راشيل ليند لو كنتَ مكان آن؟ هذا واحد من الأسئلة الواردة في دليل المعلم والتي يطرحها الأستاذ على الأطفال. إذا كنت مكان ماريلا، ماذا ستفعل عندما ترفض آن الاعتذار؟ وفي كلا الافتراضين يتم التركيز على مسألة الاعتذار. لكن وقبل الخوض في هتين القضيتين المثيرتين للجدل، يلفت المعلم انتباه الطلبة إلى فتاة الغلاف ذات الشعر الأحمر والتي تبدو منتصرة، ويسألهم أن يتنبؤوا بموضوع الكتاب. ثم ينخرط الأطفال في قراءة أجزاء مختلفة من الكتاب أمام زملائهم ويتبنى كل منهم واحدة من شخصيات القصة.

يختار الطلبة واحداً من مجموع المشاهد الدرامية الثمانية التي تشكلها القصة ويبدؤون في تمثيلها بعد دقائق قليلة من الاستعداد والتحضير. وتتنوع المشاهد من مشهد السيدة ليند تحدّث جاراتها عن لقائها مع آن وعن رأيها فيها، إلى مشهد آن الفلسطينية التي تتحدث دون انقطاع إلى ماريلا.

الجزء في الدليل والذي يحمل عنوان أسئلة مثيرة للجدل: قراءة سيكولوجية وتلخيص للأسئلة يعرض النشاطات ويلقي الضوء على التمارين التي تجادل وتناقش المضمون الأدبي، وتسعى للبحث عن النصوص في «آن» التي تبدو أقرب لحالتهم الفلسطينية. «لماذا لم يتزوج ماثيو؟ لماذا تعلقت آن بديانا؟ لماذا تُحلِّق آن بخيالها كثيراً؟» ثم

السؤال «هل تجد أنّ آن يمكن أن تكون شخصية مقبولة ومرحب بها في المجتمع الفلسطيني؟».

يمتد الحوار مع الطلبة ليتطرق إلى موضوعات كالزواج والصداقة والخيال، ويجري مقاربة بين الثقافة الفلسطينية المعاصرة والثقافة الريفية في كندا في أوائل القرن العشرين.

في المراحل الأخيرة من النشاطات يتم توجيه الطلبة للتعرف على الأفكار المطروحة وعلى الرمزية في قصص «آن»، بما يتيح مجالاً لعقد نوع من التوازن بين قطبي العقل البشري المتمثلين في تنازع الرمزية والواقعية. العديد من الأوراق التي قدمت في مؤتمر 2006 في السويد تناولت نصوص مونتغمري وقدرتها الرائعة في التأقلم والتجسد مع العديد من الثقافات، مع عدم انتهاكها لأي من القيم والمثل الاجتماعية التي تسود تلك المجتمعات.

في مرحلة اختتام برنامج «لو أني كنت آن»، ينطلق الطلبة الفلسطينيون ليكتبوا فصلاً من رواية بطلتها فتاة فلسطينية تشبه «آن» في شخصيتها وفي ظروف حياتها. التعليمات هنا تطلب من الأطفال اختيار أسماء عربية لشخصيات روايتهم واختيار بيئة مناسبة لعيش هذه الشخصيات، على أن تكون بيئة مشابهة للتي يعيشها الطفل كاتب النص، وأن يتطرق الكاتب الصغير إلى مواقف ومشاكل تعرض لها في حياته.

يؤكد المعلم على أن كل واحد من النصوص المقدمة من الأطفال سيتم عرضه ككتاب مستقل وبغلاف خاص به، ويؤكد على الطلبة ضرورة الاتفاق على اختيار بطلة قصتهم التي يريدونها واثقة بنفسها وتتمتع بالخيال الجامح والحماسة العالية.

ما يمرّ به أطفالنا من مشاكل ومعضلات مثل تفكك الأسرة والتعرض لبلطجة أترابهم وزملائهم وغيرها من الحوادث المؤلمة، ينعكس في غالبية أعمالنا الأدبية. فالأطفال يتعرفون من خلال رحلتهم مع الأدب والقراءة على أكثر الشخصيات شراسة وتخلفاً، وعلى أكثر الأطفال براءة ومرحاً، وعلى الطفل المتمرد والمشاكس. وبالنسبة للطفل الفلسطيني فإن الرمزية في شخصية «آن» يمكن أن توفر لهؤلاء الأطفال سبباً للتفكير بالعالم الأبعد عن عالمهم، وأن يتماثلوا مع شخصيات تساعدهم على ممارسة أفكار ونشاطات تشبه تلك التي تميزت بها «آن» نفسها. فجميع تلك الأنشطة التي مورست في غرف الصف ستنعكس آثارها يوماً ما على المجتمع الكبير المحيط بهؤلاء الطلبة، والذين سيكونون أكثر جاهزية من غيرهم للحوار والتفاوض والمسامحة، مزودين بقدرة على حل القضايا التي لازمتهم خلال سنوات حياتهم القصيرة.

لا شك بأن هذا هو أكثر ما يشغل بال الدول المحبة للسلام مثل السويد، وهو ما دفعهم لسؤال الطلبة الفلسطينيين عما سيفعلونه «لو كانوا في موقع آن»، مع إدراكنا عندما طرحنا السؤال على من قرؤوا «آن في المرتفعات الخضراء» بأن قراءتهم للكتاب هي محاولة لمساعدتهم على استعادة طفولتهم التي ضاعت في خضم هيمنة اهتمامات الكبار ورغباتهم.

> **«لو كنت مكان آن ... هل ستعذر السيدة راشيل؟»**
>
> **«لو كنت مكان ماريلا ... كيف تتعامل مع آن عندما ترفض الاعتذار؟»**
>
> **«لماذا تحلق آن بعيداً بخيالها؟»**
>
> **«هل يوجد مكان لشخص مثل آن في المجتمع الفلسطيني؟»**

قائمة المراجع:

- Agnew, Kate and Geoff Fax. Children at War –From First World War to the Gulf War. London and New York: Continuum. 2001.
- Ahola, Suvi and Satu Koskimies. Uuden Kuun ja Vihervaaran Tytöt. Helsinki: Tammi. 2005.
- Bosmajian, Hamida. Sparing the Child – Grief and the Unspeakable in Youth Literature about Nazism and the Holocaust. New York and London: Routledge. 2002.
- 'Declaration of the Rights of the Child' 1959. The United Nations High Commissions for Human Rights. http://www.piedibus.it/upl/biblioteca/1132229686_dichiarazione%20diritti%20del%20bambino%201.pdf. Web. 20 Jan 2010.
- Laird, Elizabeth and Sonia Nimr. A Little Peace of Ground. London: MacMillan Children's Books 2003.
- Lassén Seger, Maria. Adventures and Otherness – Child Metamorphs in Late Twentiet- Century Children's Literature. Ekenäs: Åbo Akademis Färlag. 2006.
- Punamäki, Raija-Leena. Children Under Conflict, The Attitudes and Emotional Life of Israeli and Palestinian Children. Tampere Peace Research Institute Research Reports, No.32. 1987, Tampere, Finland: Tampereen Pikakopio Oy.
- Ratkirch, Anna and Trygve Söderling, eds. Moomintroll and the End of the World – Tove Jansson's first Moomin comic strip with essays on her life and work. Helsinki: Tigertext AB/Ny Tid. 2008.
- 'Tamer Institute for Community Education Awarded the 2009 Astrid Lindgren Memorial Award'. The Astrid Lindgren Memorial Award. http://www.alma.se/en/Award-winners/tamer-english. 24 March 2009. Web. 20 Jan 2010.
- Westwater, Martha. Giant Despair meets Hopeful –Kristevian Readings in Adolescent Fiction. Edmonton: University of Alberta, 2000.

الفلسطينيون في أدب الفتيان.

إلسا مارستون

ترجمة بتصرف: هلا الشروف

إلسا مارستون: باحثة وكاتبة قصص أطفال ويافعين.

في ورقة أعدتها كاتبة الأطفال الإنجليزية إلسا مارستون، تناولت فيها صورة الفلسطينيين في أدب الفتيان المكتوب باللغة الإنجليزية، تقول: «من المتفق عليه أن أدب الفتيان هو وسيلة لنقل القيم، بغض النظر عن مهارته في ذلك وعن طريقة استخدامه في الدراما، وعن مدى تضمنه لعناصر الخيال والفكاهة. كما أن أدب الفتيان يعكس آيديولوجيات معينة ومعتقدات تصل بالقارئ إلى خلاصة سياسية. ولذلك فإن الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي يعد مثالاً مهماً يستحق البحث والتدقيق.

لقد نتج عن هذا الصراع غير المنتهي كمٌّ من أدب الفتيان المكتوب باللغة الإنجليزية، والذي لا يمكن تجاهله، والذي يحمل في طياته حتماً رسائل سياسية متعمدة. ولخصوصية هذا الصراع، نظراً لطوله واستمراريته، فقد أعطى مساحة كبيرة للجدل حوله وعدداً كبيراً من الإصدارات عنه، إذ يصل مجموع ما

كتب باللغة الإنجليزية للفتيان عن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي مجموع ما كتب عن شعوب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا».

في هذه الورقة، تناولت إلسا مارتسون 52 عملاً أدبياً تنوعت بين الرواية والقصة القصيرة، والتي تمثل أهم ما نشر للفتيان باللغة الإنجليزية منذ العام 1950، والتي تتناول صورة الفلسطيني والإسرائيلي في هذا الأدب، مع العلم أن معظم هذه الأعمال كتبت وقدمت من وجهة نظر إسرائيلية.

وإجابة على السؤال: لماذا التركيز على الأدب في الكتابة عن هذا الصراع، بدلاً من حله بطريقة واقعية؟ فإنها تقول: «لأن الأدب أكثر واقعية، بطريقة ما: إنه يخاطب القلب. فعندما يتماهى القارئ الشاب مع شخصية رئيسية في كتاب جيد، ويشعر بأفراحه ومخاوفه والتحديات التي يواجهها، فإنه عندها يميل إلى التعاطف مع هذه الشخصية، وستتولد لديه استجابة عاطفية تساهم في تشكيل مواقفه المستقبلية كبالغ».

وكما ترى الكاتبة، فإن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي قد مرّ بتغييرات ديناميكية خلال الستين عاماً الماضية، الأمر الذي ترى أنه انعكس على أدب الفتيان. وبذلك فقد قسمت الكاتبة الروايات والقصص في هذه الورقة بناءً على طرق التفكير التي تروج لها، وليس اعتماداً على ترتيب زمني. وكان تقسيمها لهذه الأعمال في ثلاث فئات رئيسية: الكتب التي تروج للفكر الصهيوني والكتب المقدمة من وجهة نظر إسرائيلية أقل استعمارية في التوجه، وأخيراً الكتب التي تمثل وجهة النظر الفلسطينية.

دولة يهودية صهيونية

خلال الأربعة عقود الأولى لوجود إسرائيل جاءت الأعمال الأدبية المكتوبة باللغة الإنجليزية والتي تتناول هذا الموضوع، لتؤكد وتروج للفكر الصهيوني، مع وجود استثناءات قليلة. على إثر الهولوكوست، حقق تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين في زمن الانتداب البريطاني آمال اليهود الأوروبيين وغالبية يهود العالم، خصوصاً مع الموافقة التي حظي بها قرار التأسيس من قبل الديمقراطيات الغربية. وبالنسبة للكثيرين خارج حدود الوطن العربي، بدا هذا الحدث الكبير مناسباً وعادلاً. وكان للجالية اليهودية حول العالم، وللتسلح المبكر والتكنولوجيا وللنجاحات الاجتماعية والفكرية لهذه الدولة الشابة الدور الكبير في اعتبارها مبشرة وذات مستقبل واعد.

وكما تقول الكاتبة، فإن هذه المرحلة انعكست بشكل واضح في أدب الأطفال والفتيان، وسنستعرض هنا مجموعة مما تطرقت له الكاتبة، على سبيل المثال لا الحصر.

Joshua's Dream، بقلم شيلا سيجال: كتاب مصور يتحدث عن طفل تخبره أمه قصة قريب لها كان مستوطناً قديماً في فلسطين.

On Eagle's Wings and Other Things، بقلم كوني ستينر: كتاب يحتفل بتجمع الأطفال اليهود من كل أنحاء العالم في دولتهم الجديدة.

The Never-Ending Greenness بقلم نيل والدمان، و Behold the Trees بقلم سو ألكسندر: كتابان مصوران للأطفال يمجدان المستوطنين اليهود في زراعتهم للأشجار.

إن هذه النماذج من كتب الأطفال والفتيان لا تأتي على الإطلاق على ذكر السكان الأصليين ولا حتى على وجود اعتراض للمستوطنين اليهود من قبل أحد، وهي بذلك تصور الأرض الفلسطينية على أنها مناطق خالية من السكان، وبالتالي فهي مهيئة وموجودة للاستخدام الصهيوني. وبذلك، فإن أي طفل قد يقرأ أو يستمع إلى هذه النماذج فإنه سيفترض بأن فلسطين كانت أرضاً خالية بانتظار المستوطنين اليهود الذين سيصبحون الأصحاب الأوفياء لهذه الأرض. وبالطبع، فإن هذا التقديم للأرض الفلسطينية على أنها خالية ودون أصحاب هو تقديم زائف، فهذه الأرض لم تكن يوماً غير

مأهولة ولا مهملة، إذ مارس أصحابها الفلسطينيون الذين تمتد جذورهم في هذه الأرض إلى مئات السنين، والذين كانوا دائماً أصحاب عادات وتقاليد ثقافية أصيلة وتاريخ طويل، وملاك أراض زراعية وبساتين على امتداد الأرض، مقاومة مستمرة. فكيف يجب لأدب الفتيان إذاً أن يتعامل مع هؤلاء الناس، على افتراض أنه ليس بالإمكان أن يكونوا جميعاً قد أزيلوا ببساطة أو تم نسيانهم؟

في أعمال أخرى للفتيان تم تقديم الفلسطينيين كشخوص بلا أسماء، وبوجوه عدائية، يطلقون الصواريخ دون هدف مفهوم. ففي رواية Alina, A Russian Girl Comes to Israel بقلم ميرا مير، يتعرض أحد الكيبوتسات إلى هجوم صاروخي غير مبرر، دون التطرق إلى أي تفسير منطقي له خلال الرواية. وفي رواية Aviva's Piano بقلم ميريام تشايكين، فإن الصاروخ الذي يطلق على واحدة من الشقق الإسرائيلية يؤدي خدمة لأصحابها بأن تسبب بفتحة كبيرة في الجدار تكفي لوضع البيانو فيها، وبالطبع دون أية إشارة إلى سبب منطقي يجعل أي شخص يطلق صواريخاً على الإسرائيليين.

في روايات أخرى للفتيان يظهر الفلسطينيون كأشخاص مليئين بالحقد، وفي بعض آخر يظهرون بصورة أناس لا يرى منهم سوى أنهم يركبون الحمير ويسوقون نساءهم خلفهم ويسكنون بيوتاً وضيعة. وهناك بعض الروايات التي ظهر فيها الفلسطينيون على أنهم الأعداء الذين يجب قتلهم أو طردهم.

نرى في بعض روايات الفتيان أن الفلسطينيين يأخذون أدواراً بارزة ولكنها مستهجنة، كما في روايةThe Mystery of the Kaifeng Scroll بقلم هاريت فيدر، والتي تتحدث عن فتاة فلسطينية تتحول إلى حليف للفتاة الأمريكية، في الوقت الذي تصور فيه الرواية شقيق الفلسطينية ابن السادسة عشرة على أنه وحش. وعلى الرغم من أن الكاتبة تتحدث عن مصادرة أرض والد الفتى على أيدي مستوطنين إسرائيليين، إلا أنه وصف بالكسول وذي الفم الكريه، والمثير للضحك والسخرية.

حتى في الروايات التي تعد ممتازة على المستوى الأدبي من حيث الشخصيات والحبكة والكشف عن العواطف العميقة، وغير ذلك مما يجعل منها عملاً أدبياً مميزاً، إلا أن صورة الفلسطيني فيها إما سيئة للغاية أو ضعيفة وجاهلة في أحسن الأحوال، أو شريرة ومخادعة ومليئة بالكراهية. منها مثلاً روايتا One More River و Broken Bridge للكاتبة لين ريد بانكس.

وفي رواية Real Time بقلم بنينا كاس، يتعاطف القارئ في بداية الأمر مع الشاب الذي تعاني عائلته تحت الاحتلال الإسرائيلي، ومع فلسطينيّين آخرين يتعرضان للإساءة على أحد الحواجز الإسرائيلية، إلا أن الرواية تترك للقارئ صورة سيئة ومخيفة، عندما يلغي الشاب الفلسطيني عمليته التفجيرية، ليس لإدراكه بخطئها، بل لأنه يكتشف وجود سيدتين فلسطينيتين بين الركاب الإسرائيليين في الباص. أي أنه تصرف انطلاقاً من ولائه القبلي لأبناء قومه وليس انطلاقاً من قرار أخلاقي منعه من ارتكاب التفجير في اللحظة الأخيرة.

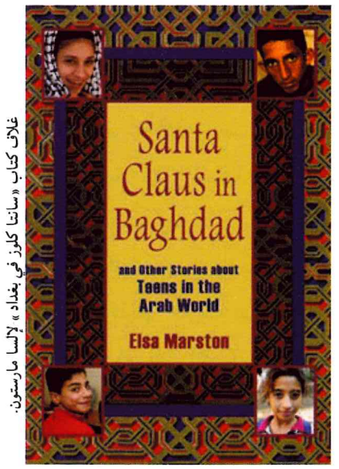

غلاف كتاب «سانتا كلوز في بغداد» لإلسا مارستون.

إن الكتب المتقدمة جميعاً تؤكد على الفكر القائل بأنه بعيداً عن مبادئ الصهيونية، فإن الفلسطينيين ليس لهم مكان في دولة إسرائيلية بسبب طبيعتهم البشرية. وقد تأكدت هذه الرسالة عبر الصور المتكررة التي صورت الفلسطينيين، باستثناءات قليلة، على أنهم أنانيون

ومتوحشون وغير أهل للثقة ولا يستحقون الخير، وأن عداءهم للإسرائيليين ينبع فقط من تكوينهم الدوني الفطري. إن الآيدويولوجيا المبنية على إقصاء الآخرين وتشويههم في أدب الفتيان لا بد وأن يثير الكثير من الجدل والاعتراض، ولكن من الواضح أن هذه الرسائل الصهيونية، ولسنوات طويلة، لاقت قبولاً في أدب الفتيان المكتوب عن إسرائيل، دون مساءلة أو تدقيق.

ولكن من الجدير بالذكر أن بعض كتّاب الخمسينات والستينات والسبعينات اتخذوا في كتاباتهم منحى آخر، فقد أظهروا فيها احتراماً كبيراً للسلوك والثقافة العربية، وقالوا بأن مجتمعاً ثنائي الثقافة قد يقدر له الوجود والاستمرار.

ومن الأعمال المبكرة التي تبنت فكرة مماثلة كان كتاب To Build a Land للكاتبة سالي واتسون، والذي تحدثت فيه عن أيتام يهود تم تهريبهم إلى كيبوتس قبل عام 1948 ورحب بهم مختار القرية الفلسطينية المجاورة. وفي عملها Other Sandals تتحدث عن صداقة بين فتاتين، تحاول اليهودية فيهما إقناع الوالد الفلسطيني بالسماح لابنته بإكمال دراستها. وفيها كذلك حديث عن علاقات الصداقة الحميمة التي تجمع أهل القرية الفلسطينية بسكان الكيبوتس من الإسرائيليين. وفي الأعمال الثلاثة للروائية ثيلما نورنبرغ وهي My Cousin, the Arab, the Time of Anger، تحاول مجموعة من الشباب في الكيبوتس الحفاظ على علاقة طيبة بالفلسطينيين في القرية المجاورة، كما تنشأ علاقة حب بين فتاة إسرائيلية وابن شيخ البلد الفلسطيني. وفي رواية Lori للكاتبة غلوريا غولدريخ، تنشأ صداقة بين فتاة أمريكية تسكن في إسرائيل وبين عائلة فلسطينية.

إن الأعمال المذكورة توصل للقارئ رسالة مفادها أن مجتمعاً يتعاون فيه الإسرائيليون والفلسطينيون لن يكون فقط قابلاً للحياة فيه، وإنما سيكون مرغوباً أيضاً، وأن الفلسطينيين الذين يتمتعون بمواطنة إسرائيلية كاملة سيرحبون بنتيجة كهذه. ولكننا نرى فيها أيضاً افتراضاً بأن الإسرائيليين، باعتبارهم الأكثر تحضراً والقادمين من أوروبا وأمريكا، هم الذين سيحكمون، وسيوفرون مستوى أعلى من التعليم وسيبدون براعة أكبر في مجال التكنولوجيا، كما أنهم من يتمتعون بصفات حضارية ومواقف مستنيرة في كل المجالات، ولكنهم يرغبون بمشاركتها مع الفلسطينيين برغبة وعن طيب خاطر. كما أنها تفترض أن القلة من العرب (الفلسطينيين)، من المتذمرين والمحرضين والمتطرفين والمضللين يمكن تحييدهم وتجاهلهم في مقابل الغالبية المسالمة من المواطنين العرب.

وبالنتيجة، كما تقول الكاتبة، فإن هذه الرسالة المليئة بالأمل إنما هي الأساس الذي تقوم عليه الصهيونية: دولة يهودية بسكان غالبيتهم من اليهود، والتي لا يمكنها في أي حال من الأحوال أن تضم في بنيتها أعداداً كبيرة من أنواع أخرى من الناس، خصوصاً أولئك الذين الذين يمتازون بمعدلات عالية في الولادة.

لن يتسع هذا العدد من مجلة طيف لعرض المقالة التي أعدتها الكاتبة كاملة حول هذا الموضوع، ولكن يمكننا القول بأنها عملت في الأجزاء المتبقية منها على استعراض مجموعة مهمة من الأعمال الأدبية الموجهة للفتيان والتي تعكس التحول في النظرة إلى الفلسطينيين في هذا الأدب باختلاف المراحل. فتحدثت في جزء لاحق عن مجموعة من الأعمال التي تتناول فكرة المصالحة وتجاوز الخلافات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، والتي تصور الفلسطينيين، على الرغم من العداء المستمر، على أنهم شعب يستحق الاحترام الذي يستحقه الإسرائيليون، وبأن لديهم الأسباب الكافية للشعور بالتضرر والأسى نظراً لما يعانونه وللظروف التي يمرون بها. ثم استعرضت في جزء آخر مجموعة من الأعمال الموجهة للفتيان والتي كتبت من وجهة نظر فلسطينية، بعد سنوات طويلة من تفرد وجهة النظر الإسرائيلية، سواء العنصرية أو حتى الأكثر اعتدالاً، بتقديم صورٍ للشخصية الفلسطينية، حتى وإن كانت

مقبولة. كما أنها تشير في هذا الجزء إلى وجود عدد من الأعمال التي بدأت تقدم الفلسطينيين في قصص لا تتحدث بالضرورة عن التجربة الفلسطينية، وإنما على اعتبارهم أشخاصاً كغيرهم يخضعون لظروف ويعيشون مشاكل تفرضها عليهم بيئتهم الثقافية والاجتماعية.

وفي الخاتمة تلخص الكاتبة المراحل التي مرت بها صورة الفلسطينيين والصراع الفلسطيني- الإسرائيلي في أدب الفتيان المكتوب باللغة الإنجليزية، ابتداءً من تصوير فلسطين بأنها الوطن الشرعي لليهودية ونكران الوجود الفلسطيني فيها والمطالبة بالتخلص منه بشكل أو بآخر، ومروراً بالدعوة إلى المصالحة وتقديم الشعب الفلسطيني على أنه شعب يستحق الحياة مع الإسرائيليين في دولة تضم الجميع، وانتهاءً بتقديم صورتهم من وجهة نظر فلسطينية تقول ببساطة بأن الشعب الفلسطيني موجود، وقد كان دوماً كذلك وسيبقى، وبأن ما يتعرض له الفلسطينيون إنما هو ظلم وجور ولا بد أن يراه الجميع كذلك.

الكاتبة بأن أدب الفتيان المعاصر يفتح، وبقوة، الأبواب التي كانت مغلقة بالفكر السائد والنظرة القائلة بأن الصوت الفلسطيني ليس جديراً بالنشر، وترى أن الكتاب والناشرين الآن يرتقون إلى التحدي بأن يكونوا منفتحين وشجعان بما يكفي ليتحدثوا عن الحقائق المؤلمة. وتأمل أن تتمكن هذه الكتب وغيرها مما قد يصدر مستقبلاً من مساعدة الأجيال القادمة في التغلب على العقبات التي تعرقل التفكير السليم.

ملاحظة: للحصول على مقالة الكاتبة إلسا مارستون كاملة باللغة الإنجليزية يمكنكم مراجعة مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، أو الدخول إلى صفحة الكاتبة على الموقع:

www.elsamarston.com

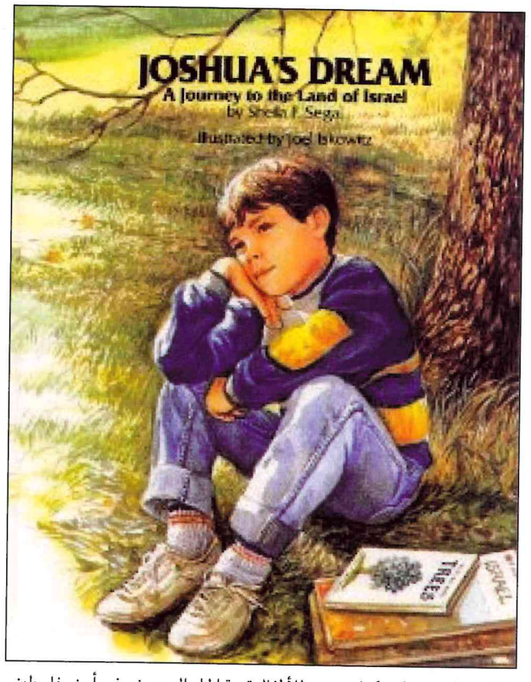

غلاف «حلم جوشوا»: كتاب يروي للأطفال قصة الحلم الصهيوني في أرض فلسطين.

صدر حديثاً عن
مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

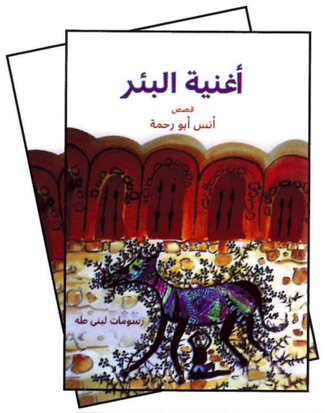

أغنية البئر

مجموعة قصصية للفتيان
تأليف: أنس أبو رحمة
رسومات: لبنى طه

مجموعة قصصية للفتيان والفتيات، تحكي عن الحب والوطن والأرض والكائنات والطفولة والعلاقات الإنسانية والطبيعة، كتبت بروح فتية وبعمق إنساني ملفت ولغة شعرية عالية.

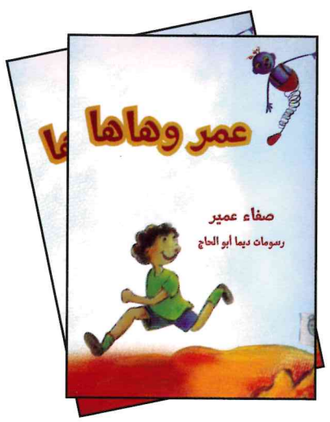

عمر وهاها

قصة مصورة للأطفال
تأليف: صفاء عمير
رسومات: ديما أبو الحاج

قصة مشوقة للطفل عمر يعيشها مع صديقه الزمبركي هاها في بيت الهاهات، في عالم خيالي ملهم وغني بالألوان والكعك والطفولة.

تعال العب معي

قصة مصورة للأطفال
تأليف: صفاء عمير
رسومات: نادين صيداني

قصة طفل يحاول بكل الوسائل أن يدفع والده المشغول دائماً للّعب معه. ولكن الأمور تتخذ منحىً آخر في نهاية القصة، دعونا نرى كيف.

كتاب شعري وشاعري بلغة غاية في البساطة والجمال، ورسومات مليئة بالإبداع والألوان.

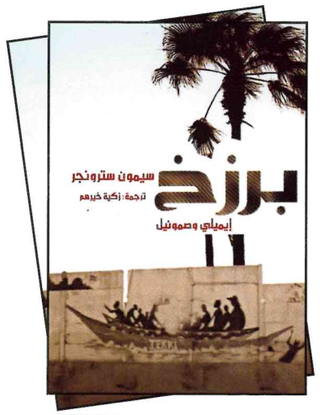

برزخ

رواية للفتيان مترجمة عن النرويجية.
تأليف: سيمون سترينجر
ترجمة: زكية خيرهم

رواية تحكي قصة الفتى صموئيل الذي يهاجر من إفريقيا مع مجموعة من الناس على متن قارب هزيل، متجهين إلى أوروبا. هي رواية عن البؤس الإنساني والهجرات غير الشرعية، وعما يلاقيه آلاف المهاجرون سنوياً أثناء رحلتهم وبعد وصولهم إلى المكان الذي يعتقدون أنهم سيعيشون أحلامهم فيه بعيداً عن الفقر والجوع والمعاناة.

ذئب الرمال

رواية للفتيان مترجمة عن السويدية.
تأليف: أوسا لينه
رسومات: كريستينا ديغمان
ترجمة: جاسم محمد

كتاب يحكي قصة زاخارينا، الفتاة التي تلتقي مخلوقاً عجيباً على شاطئ البحر بالقرب من بيتها. حكاية صداقة جميلة بين كائن خيالي وفتاة فضولية تجمعهما أيام الصيف الحارة والأحاديث الممتعة.

العفريت الناقص والجميلة شاربا

قصة للفتيان مترجمة عن الإيرانية.
تأليف: علي أصغر سيّد أبادي
رسومات: بيمان رحيمي زاده
ترجمة: عبلة طوباسي

كتاب يحكي قصة شاربا الجميلة التي تختطفها العفاريت، والعفريت الناقص صاحب القلب الرقيق الذي لا يستطيع ممارسة الشر ولا تطبيق الوصايا الشريرة التي ينص عليها كتاب العفاريت المقدس. يقع العفريت الناقص في حب شاربا الجميلة ويتحول تدريجياً إلى إنسان يعيش مع البشر في القرية. قصة مليئة بالخيال والتشويق تروى على لسان أربعة رواة يتناولون الحكاية كلٌّ من وجهة نظره.

الثعلب أبو البطات

كتاب مصور للأطفال، مترجم عن اللغة الألمانية.
تأليف: يوليا فريزة
رسومات: كريستيان دودا
ترجمة: أمينة أورت

هذا الكتاب يحكي حكاية كونراد، الثعلب الجائع، والذي يبحث عن وجبة دسمة ليوقف قرقرة معدته الفارغة، ولكنه

بدل ذلك يحصل على بيضة بط أصبحت ابنه «لورنس» فيما بعد، وأصبح فيما بعد جداً لأحفاده وحفيداته البطات... حكاية غريبة ومثيرة عن علاقة أب ثعلب بابنه فرخ البط، وما يرافقها من مشاعر وصراعات داخلية عاشها الأب الثعلب، والتي تحولت فيما بعد إلى أبوة جميلة انتصر فيها الإحساس «الإنساني» على غريزة القتل والافتراس.

كتابي الأول ٩٠٢

نصوص الأطفال: كوثر الفرا، هبة الشـرفا، يسـرى الجربي، حسن صندوقة، نيفين حمامرة، إسراء المصري، لما عوض، محمد الخطيب.
رسومات الأطفال: أفنان زهور، عبيدة سباتين، ليال شكوكاني، نور الخطيب.

كتابي الأول مجموعة قصص كتبها ورسمها أطفال مبدعون من فلسطين، تحدثوا فيها عن سارة التي تتحدى الإعاقة وتوصل فريقها إلى الفوز، وعن أحمد وعلي اللذين استشهدا برصاص جنود الاحتلال، وعن عامر الذي يعرف معنى السعادة الحقيقية بعد أن كان لحوحاً كثير الطلبات، وعن شجرة الزيتون التي تظلل الجد وأحفاده بظلها وتروي لهم حكاياتها، وغيرها من الحكايات.

كتابي الأول إصدار سنوي عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، يمثل فسحة للإبداع والخيال لأطفال فلسطين في كل مكان.

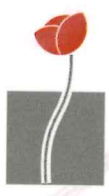

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

Tamer Institute For Community Education